

تأملات

في

قصة نوح عليه السلام

دكتور

رمضان عبد العزيز عطا الله

الأستاذ المساعد بقسم للتفسير وعلوم القرآن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



له الذي أنزل الفرقان على محمد ﷺ ليكون للعالمين نذيراً ،
ومعجزاً للإنس والجن ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً .

أحمده على تفضله علينا بكتابة هذا كتيباً كبيراً . ومن يؤت
للحكمة فقد لوتي خيراً كثيراً .

وأصلي وأسلم على المبعوث بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً
منيراً ، صلاة دائمة تتصل ولا تنقطع بكرة وهجيراً .

ويهد

فلئن القرآن الكريم هو حبل الله المتين ، وذكره الحكيم ، وصراطه المستقيم ،
وبرهانه المبين ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ
وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ﴾ ^(١) .

وهو حجة الله على خلقه ، وآياته الدالة على قدرته وعلمه ، ومعجزته
البارزة الدالة على صدق نبيه ﷺ .

قال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُكَلِّمُكَ عَلَيْهِمْ ﴾ ^(٢) .

وقال تعالى : ﴿ لَسَوْفَ نَأْتِيكَ بِشَهَادَةٍ بِمَا قُلْتَ إِلَيْكَ قَوْلًا يَخْمِيهِ وَالْمَلَائِكَةُ
يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِإِلَهِهِ شَهِيدًا ﴾ ^(٣) .

١ - سورة النساء آية رقم ١٧٤ .

٢ - سورة العنكبوت آية رقم ٥١ .

وهو النور الذي يهدي البشرية إلى الله ، ويربط قلوبهم بشريعة وهداه .
ويرسم لهم المنهج الرائد فسي للعقيدة والشريعة والمعاملات والأخلاق .
قال تعالى : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ، يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ مِثْلَ نُورٍ مُسْلَمٍ ، وَخَرَجَهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَتَهْلِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (١) .

وقد استعمل القرآن الكريم للدعوة إلى مبادئه وشرائعه ، وفي لغت العقول والقلوب إليها جملة ولغة من الأساليب .

منها : الإرشاد إلى النظر والتدبر في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء ، لتعرف أسرار الله في كونه ، وإبداعه في خلقه ، وبذلك تمتلئ القلوب إيماناً بوجوده و عظمته عن نظار والفتاح لا عن تقليد وإبداع ، وبهذا السبيل كرم الله العقل وفتح له باب البحث عن خواص الأجسام وأسرار الكائنات في الأرض ، والسماء ، والماء ، والهوى ، كي ينتفع بها في حياته ، ويستفاد منها في التعمير والإنشاء .

ومنها : قصص الأولين ، أفراداً و أمماً الصالحين منهم و المفسدين ، وقد أورد في ذلك كثيراً مما يثير العظة والاعتبار ، ويرشد إلى سبيل الله في معاملة عباده ، وهذا هو مقصد القرآن من ذكر قصص الماضيين ، فلم يذكره على أنه تاريخ يحدد الزمان والأشخاص ، ويركب الوقائع ويبين الأسباب والنتائج ، ولم يذكره على أنه أساطير تتحدث عن الغرائب والأعاجيب التي يسم بها الناس في التولدي والمجتمعات .

١ - سورة النساء آية رقم ٦٦ .

٢ - سورة المائدة الأيتان رقم ١٥ ، ١٦ .

ومنها : ليقابل الشعور الباطن في الإنسان فيندفع الإنسان بوحى هذا الشعور إلى التساؤل عن مبدئه ، وعن مآلته وعن حياته ، وعن مآله ومصيره ، حتى يصل إلى الاعتراف بخالق القوى والقدر ، واضع الأسباب والمعيقات ، رب الأرض والسموات ، مدير الأمر ومصرفه ، وتلك هي الفطرة التي ذكرها الله بقوله تعالى : ﴿ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ (١) .

ومنها : أسلوب الإنذار والتشهير ، أو الوعد والوعيد ، والقرآن في ذلك طريقان أحدهما : الوعد والوعيد عن طريق الحياة الدنيا : بعد المؤمنين للصلحين بعموم السلطان والتمكين في الأرض ، وينذر للجاحدين للمسلمين بتقلص العز وانزاع الملك ، وتسليط الأعداء .

وثانيها : الترغيب بنعيم الآخرة الدائم الذي لا ينقطع ، الصافي الذي لا يشوبه كدر ، والترهيب من الكفر والإفساد في الأرض وللطغيان على عباد الله بعذابها الدائم للمبين (٢) .

فالقصص القرآني إذا هو أحد الأساليب التي حملها القرآن ليوماج بها الناس ، وليقطعهم عن الجدل والمماحكة ، شأنه في هذا شأن ما جاء في القرآن من أساليب الاستدلال والمنظرة ، والتعجيز ، والوعد والوعيد ، والتنهيد ، وغيرها من المشاهد والمواقف المبثوثة في القرآن الكريم كله ، من قصار الصور إلى طوالها ، لا نجد سورة موحا قصرت - تخلو من مشهد أو موقف ، يمهذ للدعوة الإسلامية و يضع معلماً أو معالم للهدى إليها ، وللتبصير بها في منطق محكم وحجة دامغة و بيان معجز مفهم .

١ - سورة الروم آية رقم ٣٠ .

٢ - ينظر : إلى القرآن الكريم للإمام الأكبر شلتوت ص ٧ ، ٨ .

ومن أجل هذا كانت القصة في القرآن ركيزة قوية من ركائز الدعوة الإسلامية القائمة على الإقناع العقلي والإطمئنان القلبي ، بما تدعو إليه من الإيمان بالله ورسوله ، وكتبه واليوم الآخر .

وبما تحمل من مثل في مجال الجهاد والكفاح والبذل والتضحية والفداء ، في سبيل الدعوة إلى الحق والتوجيه إلى الخير والهدى ، والتكسر للباطل والضلال ، والصمود في وجه الظلم والظفوان . (١) .

هذا وقد تفرقت من قصص القرآن ليكون موضوعاً لهذا البحث قصة نبي الله نوح عليه السلام وذلك لعدة أسباب :

أولها : أنها الفريدة بسورة كاملة من قصص المور سميت باسمه عليه السلام وهذا ما لم يكن لأية قصة أخرى من قصص الأنبياء غير يوسف عليه السلام الذي سميت باسمه سورة من طوال قصور . على حين أن بعض الأنبياء قد سميت بعض المور باسمهم كسورة هود ، وسورة يونس وسورة إبراهيم ولكنها لم تكن خالصة للحديث عنهم بل شاركهم في ذلك غيرهم من الأنبياء .

ثانيها : أن معظم المور التي وردت فيها القصة فيها الدعوة إلى عبادة الله وتوحيده ، وكيفية استقبال القوم لها وإهلاك المكذبين ، وتجيبة المؤمنين ، وذلك بأسلوب بياني جديد يناسب سياق السورة و يخدم موضوعها الرئيسي .

ثالثها : أنها وردت في سورتي بين الطويل من القصص و القصير للمعتمد على الإشارة السريعة أو الواقفة عند بعض الأحداث التي تتفق مع المنهج الأساسي للسورة الواردة فيها .

١ - ينظر : القصص القرآني في منظومة ومفهومه للأستاذ عبد الكريم الخطيب ص ٨ بتصرف .

رابعها : أن كل الصور التي عرضها القرآن الكريم للقصة جميعها صورة واحدة يكمل بعضها بعضاً ، في حين أن كل صورة منها تمثل للقصة كلها و تبرز ملامحها .

والذي أود أن أنبه عليه هنا قبل الشروع في دراسة هذه القصة هو : أن دراستي لها ليس الغرض منها ذكر قصة نوح عليه السلام بجميع حوادثها وتفصيلاتها ، فإن ذلك قد ذكر في كثير من الكتب والأبحاث ، ولكن غرضي منها ما يلي :

١- بيان أن قصة نوح عليه السلام في كل سورة وردت فيها قد جاءت مناسبة للسياق الذي وردت فيه وملائمة للإطار العام للسورة فلكريمة التي وردت فيها .

٢- بيان أن كل سورة وردت فيها قصة نوح عليه السلام قد انفردت بذكر شيء جديد لم يذكر في غيرها من السور التي وردت فيها القصة .

٣- بيان أن قصة نوح عليه السلام مع ذكرها في أكثر من سورة ليس فيها ذلك للتكرار المطلق الذي يخل لبعض من يقرؤون القرآن بلا تفكير ولا إيمان .

٤- بيان أنه ما كان من تكرار شيء في القرآن الكريم له صفة ينمي الله نوح عليه السلام من ناحية اسمه مجرداً أو من ناحية قصته فإن ذلك لم يكن عبثاً بل كان لتحقيق أغراض دينية و أسرار بيانية .

هذا وقد استعنت بالله في كتابة هذا للبحث الذي أسميته (تأملات في قصة نوح عليه السلام) وقسمته إلى مقدمة وتمهيد وثلاث فصول وخاتمة .

المقدمة : في أهمية الموضوع ، وخلاصتي فيه .

التمهيد : في القصص القرآني معناه ، وأغراضه

الفصل الأول : في السور التي وردت فيها قصة نوح عليه السلام .

الفصل الثاني : في الأغراض الدينية المستفادة من تكرار اسم نبي الله نوح في القرآن .

الفصل الثالث : في أسرار التنزيل في قصة نوح عليه السلام .

المخاتمة : في أهم النقاط التي تناولها البحث .

والله أسأل أن يرفع به وأن يتقبله مني عملاً صالحاً ليلقي به وجهه تعالى ،
ولتقرب به إليه لعله يرضى علي و يغفر لي . إنه تعالى علو كريم .

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعه بإحسان إلى
يوم الدين .

دكتور

رمضان عبد العزيز صفا الله

الأستاذ المساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن

تہدید

القصص القرآنی معناه وأغراضه

المعنى اللغوي للقصص :

أصل القصص في اللغة :- القص وهو تتبع الأثر تقول العرب قصصت شئاً إذا تتبعته أثره .^(١)

قال الراغب في مفرداته (القص تتبع الأثر . يقال قصصت أثره . والقصص : الأثر . (فارتكداً على أثرهما قصصنا)^(٢)) وقفت لأخيه قصصه^(٣) .

والقصص الأخبار المتتابعة للتعالي : (إن هذا لهو القصص فنحن^(٤))

المعنى الاصطلاحي للقصص القرآني (هو حكايته وإخباره عن لحول الأمم الماضية والأنبياء السابقين والعوالم والكانات الواقعة فيما مضى من الزمان قبل وقت نزوله)^(٥) .

ولما سميت تلك الأخبار قصصاً ، لأن القصص بهذا المعنى يدخل في مدلول كلمتي (خبر ونها) ، ولأن استعمال القرآن للخبر والتأ بمعنى للتحدث عن الماضي . وإن كان قد فرق بينهما في المجال الذي استعمل فيه . جرياً على ما

١ - لسان العرب مادة قصص .

٢ - سورة الكهف آية رقم ٦٤ .

٣ - سورة القصص آية رقم ١١ .

٤ - سورة آل عمران آية رقم ٦٢ .

٥ - المفردات للراغب مادة قصص .

٦ - ينظر : المرشد الوافي في علوم القرآن د / محمود فودة ص ١٩٩ .

قام عليه نظمه من دقة وإحكام ، واستعمل القبا والأبناء في الأحداث الماضية من زمن بعيد (**وَهَلْ آتَاكَ مِنَّا الْقَصَصُ بِذِكْرٍ يُؤْمِنُونَ بِالْمِثْرَابَةِ**)^(١) ، (**لَخَلِيفَةٌ تَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ**)^(٢) .

واستعمل الخبر والأخبار في الكشف على الوقائع القريبة العهد

(**وَلَقَدْ نُوِّحْنَا إِلَىٰ آلِهَتِهِمُ الْمُجَافِينَ مِنْكُمْ وَالنَّبِيِّينَ وَكَانُوا لَخَبِيرِينَ**)^(٣) .

والاشتقاق اللغوي للقصة يفيد أنها كشفت عن آثار مضت ، وتتقرب عن أحداث نسبها الناس وغفلوا عنها ، وغاية ما يراد من ذلك هو إعادة عرضها من جديد لتذكير الناس بها .

ولفتهم إليها ، لتكون العبرة والعظة ، ولا يصح أن يطلق لفظ الحكاية على هذا النوع ، لأن الحكاية يلاحظ فيها المحاكاة ، والوقوف على ما جرى فقط ، أما القصص فإنه ينقلك بنفسك وعقلك ووجدانك إلى هذا الزمان الغابر ، لتعيش فيه فتأخذ العبرة ، والعظة^(٤) .

والقصة في القرآن من مميزات وأداة بديعة فعالة جاءت لتسهم فيما يرمي إليه من غايات دينية (**لَأنَّ الْقُرْآنَ كِتَابٌ دَعْوَةٍ دِينِيَّةٍ لِّبَلِّغَ كُلِّ شَيْءٍ وَالْقِصَّةُ إِحْدَى وَمِمَّا لَهَا مِنْ الْبَلَاغِ هَذِهِ الدَّعْوَةُ وَتَنْبِيْهَا**)^(٥) .

١ - سورة ص آية رقم ٢١ .

٢ - سورة الكهف آية رقم ١٣ .

٣ - سورة محمد آية رقم ٣١ .

٤ - ينظر : القصص القرآني في منظومة و مفهومه د / عبد الكريم الخطيب ص ٤٥ .

٥ - ينظر : لوحدة الموضوعية في القرآن الكريم د / محمد محمود حجازي ص ٢٥٧ .

٦ - ينظر : التصوير الفني في القرآن / سيد قطب ص ١٤٣ .

المراحل القصص القرآني

للقصص القرآني عرائض كثيرة أهمها ما يأتي : -

١ - بيان أن الدين كله من عند الله ؛ من عهد نوح إلى عهد محمد وبيان لأصل المشترك بين الأديان التسوية جميعها قال تعالى :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي ۚ ﴾ (١) .

٢ - إثبات الوحي والرسالة لمحمد ﷺ وبين صفته في دعوته بما أخبر به عن أحوال الماضيين عبر القرون والأجيال . قال تعالى : ﴿ لَخَنَّ بَقْصٌ عَنْكَ آخِرُنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ (٢)

٣ - تثبيت قلب رسول الله ﷺ ومن آمن معه حيث يقفون على الخيار للرسول وأمعهم وكيف كانت العقوبة للمتكبرين ، والدلالة على الغافلين المعاندين وفي هذا تثبيت لهم ، وشجع لهم المهم .

قال تعالى : ﴿ وَخَسِرَ بَقْصٌ عَنْكَ مِنَ الْآيَاتِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَتُكْرَرُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٣) .

٤ - الاعتبار والانعاط بما جاء فيه من مظاهر القدرة الإلهية وعاقبة الخير والشر ، والعجلة والتزيت ، والصبر والجوع ، والشكر والبذر . قال تعالى : ﴿

١- سورة الأنباء آية رقم ٢٥

٢- سورة يوسف آية رقم ٣ .

٣- سورة هود آية رقم ١٢٠ .

لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٦﴾ . وَقَالَ أَيْسًا ﴿ فَاَقْصُصْ
الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (١٦)

٥ - بين أن وسائل الأنبياء في الدعوة موحدة ، وأن استقبال قومهم لهم
متشابه - قال تعالى ﴿ كَذَلِكَ مَا كُنَّا لِّلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قُلُّوا سَاءَ
لَوْ مَجَّيْنُونَ ، لَقَوَاهُمْ أَوْ بِهِمْ قَوْلٌ مَّعْشُورٌ ﴾ (١٧)

٦ - تنبيه أبناء آدم إلى غواية الشيطان ، وإبراز العداوة العالقة بينه وبينهم
منذ أبيهم آدم .

قال تعالى : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ لَا يَلْبِسْكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ
يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا
تُرَوْنَهُمْ إِنَّا جَنَفْنَا لِلشَّيْطَانِ أَوْكَيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (١٨) .

٧ - مفرجة أهل الكتاب بالحجة فيما كنتموه من البهت و الهدى ، وتحسينه
لهم بما كان في كتبهم قبل التحريف والتبديل ، كقوله تعالى :

﴿ كُلُّ الطَّعْمِ كَانَ حَلَالًا لَّهِيَ إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ
قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ فَمَنْ فَتَنَّا بِتِلْكَ آيَاتِنَا فَاتَّخَذَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (١٩) .

٨ - تصديق الأنبياء السابقين و إحياء ذكراهم و تخليد أثارهم (٢٠) .

١ - سورة يوسف آية رقم ١٧٦ .

٢ - سورة الأعراف الآية رقم ١٧٦ .

٣ - سورة الدبريخت الأيتان ٥٢ / ٥٣ .

٤ - سورة الأعراف آية رقم ٢٧ .

٥ - سورة آل عمران آية رقم ٩٣ .

٦ - ينظر : للتصوير الفني للقرآن ص ١٤٤ و ما بعدها ، مباحث في علوم
القرآن مدع القطعات ص ٣٠٧ ، أساليب الإقناع في القرآن د / بن موسى
باطاهر ص ٨٨ يتصرف .

والفرار منه قصص في الحفاظ على قصص الأولين بعدد عيشت به أيدي
 السابقين ، و نولاه تصاعب أخبارهم و روايتهم و تم يبق منها اليسير

اسرار تكرار القصص القرآني

لقد اشتمل القرآن الكريم على كثير من القصص الذي تكرر في غير
 موضع أكثر من مرة ، و تلك بالعنفة مختلفة و أساليب متعددة ، لأغراض جليلة
 تدل كلها على إعجاز القرآن الكريم .

و هذه بعض الأسرار لتكرار القصص القرآني نجملها فيما يلي -

١- قوة لإعجاز فييراد المعنى الواحد في صور متعددة مع عجز العرب
 عن الإتيان بصورة منها أربع في التحدي .

يقول البقاعي رحمه الله في نظم الدرر (ويستفاد من تكرار القصص فوائد
 منها : - إظهار القدرة في بيان الإعجاز بتصريف المعنى في الوجوه المختلفة
 لما في ذلك من علو الطبقة في البلاغة لأنه ربما قال متعجب عند التحدي ، قد
 سئو في اللفظ البديع على ، لأسلوب لأكمل البديع في هذه القصص فلم نبق لنا
 ألفاظ تعبر بها عن هذه المعاني حتى تأتي بمثل هذه القصص تأتي بها ثانياً يظهر
 لمجزة وقطعاً لحجته وربما كررت ثانياً وثالثاً ورابعاً تؤكد ذلك وتمكيناً
 للاعتبار بصروب اليبس وتصبيراً للنبي ﷺ على أذى قومه حالاً

قال قيل ، فبها ثلثي قارة في غاية البسط وثارة في غاية الإيجاز ،
 وثارة على الوسيط قيل هذا من أعلى درجات البلاغة وأجل مراتب الفصاحة .
 والبراعة (١) .

١- ينظر ، نظم الدرر للبقاعي ، ٣ ، ١٥١٩

٢- ليس بلاغة القرآن في أعلى مراتبها ، فمن خصائص البلاغة إبراز المعنى الواحد في صور متعددة مختلفة ، والقصة المتكررة ترد في كل موضع بأسلوب يتمايز عن الآخر وتصاغ في قالب غير القالب ولا يمل الإنسان من تكرارها بل تتجدد في نفسه معاني لا تحصل به بقراءتها في الموضع الأخرى^(١)

٣- لاختلاف الغاية التي تساق من أجلها للقصة فنذكر بعض معانيها للولادة بالغرض في مقدم ، و نبرز معاني أخرى في سائر المقامات حسب اختلاف مقتضيات الأحوال^(٢) .

يقول الشيخ محمد أبو رهرة رحمة الله في كتابه المعجزة الفكرية (إنما إذا نظرنا نظرة فاحصة نلحق بمقام القرآن ، و مكانته في البيان العربي ، نجد أن التكرار فيه له مخرى ، ذلك أن القرآن ليس بكتاب قصص ، و ليس كالروايات القصصية التي تذكر الحوادث المتخيلة أو الواقعة .

إنما قصص القرآن ، وهو قصص لأمر واقعة ، يساق لتعبر وإعطاء المثلات ، وبيان مكان الصالحين ومنزلة لمهتدين ، وعاقبة للضالين ، وعاقبة للهداية ، وبيان ما يقاوم به النبيون ، ووراءهم كل الدعاة للحق ، فهو قصص للعبارة بين الوقائع لا لمجرد المتعة من الاستماع والقراءة ، ولكي يتبين للقارئ الكريم أن التكرار يتمسب عند البحر فلي هي المقصد الأول من القصص تذكر على سبيل المثال لا الحصر (قصة إبراهيم الخليل) فقد ذكرت عدة مرات لتجدد البحر فيها ، و لقد كان إبراهيم أباً للعرب قصصه لها تأثير كبير في قلوبهم ولغلتهم وحينما نقرأ هذه القصة كما جاءت في كتاب الله تبارك وتعالى في عدة مواضع نلاحظ أنه لا تكرار قط فيها ، ولكن حكمة التعليم للخبر تعالت

١- ونظر : مباحث في علوم القرآن ص ٣٠٨ .

٢- ونظر : مباحث في علوم القرآن ص ٣٠٨ .

كلماته اقتصد بذكره متفرقة الأجزاء في مواضع لتكون كل عبارة بجوار خبرها في القصة ، أو يجمع في مكان واحد لأصاغت للعبارة بالقصة الخيرية ، وما تميزت كل عبارة بتعبير يجعلها كونا مستقلا مقصودا بالذات (٢) .

٤ ل كل عرض للقصة الواحده يشتمل على عرض رائد على ما في العرض السابق ،

ومن ذلك مثلاً ل القرآن سمي عصا موسى ~~فقط~~ مرة حبة و أخرى شعبان ، و ثلاثة جات ، قال تعالى في سورة طه « لعل ألقها يا موسى ، فأنقاها فإذا هي حبة تصنى » (٣) .

وقال في سورتي الأعراف والشعراء « لأنقي عصاه فإذا هي شعبان مبهين » (٤) .

وقال في سورتي النمل والقصاص : « لئلا رآها تهتز كأنها جنن وكى مذبذباً ولم يضحك » (٥) .

٥ ل للقصة الواحدة من هذه القصص و لى من أنها لا تعبر الأخرى فقد يوجد فيه للأفكار زيادة ونقصان ، وتقديم وتخير ، وتلك حال المحامي الواقعة بحسب تلك الألفاظ ، فإن كل واحدة لابد وأن تختلف مظهرتها من نوع معنى رائد ^{عيني} لا يوقف عليه ، لا منها دور خبرها ، فكان الله تعالى فرق ذكر ما دار بينهما وجعله لجراء ثم قسم تلك لأجزاء على تارات ولو جمعت تلك القصص هي

١- يذكر . المعجزة الكبرى لأبي زهرة ص ١٢١ و ما بعدها بتصرف و اختصار .

٢- سورة طه الآية ١٩ ، ٢٠ .

٣- سورة الأعراف آية رقم ١٠٧ ، و سورة الشعراء آية رقم ٣٢

٤- سورة النمل آية رقم ١٠ و سورة القصاص آية رقم ٣١

موضوع ونجد لأشبهت ما وجد الأمر عليه من الكتب لتقسمة من أفراد كل قصة منها بموضوع .

كما وقع في القرآن بالنسبة ليومعب الله قصة فجمعت في هذه الخاصية من نظم للقرآن عدة محاني عجيبة (١) .

أنواع القصص القرآني

ونقسم في القرآن ثلاثة أنواع :

النوع الأول : قصص الأنبياء وقد تضمن هذا النوع منهاج كل رسول في دعوته إلى الله والإيمان به ، وباليوم الآخر كما جاء فيه إشارات إلى معجزة كل رسول وتأيد الله سبحانه وتعالى له ، كما تحدثت قصص الأنبياء في القرآن الكريم عن مواقف المعاندين والمنكبرين وسوء عاقبتهم ، وفي هذا الصدد قص الله علينا في كتابه قصص آدم ، ونوح وهود ، وصالح ، وإبراهيم وإسماعيل ، وإسحاق ، ويعقوب ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد ، وغيرهم من الأنبياء والمرسلين .

النوع الثاني : قصص تتعلق ببعض الأحداث الفارقة ، وتربط بأشخاص لم تثبت نبوتهم وذلك مثل الذين أخرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت ، وطالوت وجالوت ، ولقيت آدم ، وأهل الكهف ، أصحاب السيت ، وأصحاب الأخدود ، وأصحاب القل ، وغيرهم .

النوع الثالث : قصص تتعلق بأحداث وقعت في زمن رسول الله ﷺ وذلك قبل الغزوات ، وحديث الإفك ، وحديث الإسراء ، وحر ذلك (٢) وقد ذهب بعض

١ - ينظر ، البرهان في علوم القرآن للزركشي ٣ / ٢٩ بتصرف .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا جَاءْنَا بِكِتَابٍ فَخْرٍ مُّزِيدٍ ﴾

الغناء إلى أن الحوادث التي حدثت في عهد رسول الله ﷺ لا تعتبر من قصص القرآن في شيء معن لا على ذلك من قبله تعالى : ﴿ كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ قَبْلُ مَكْرًا ﴾ (٦).

وقد رد على هذا الكلام بأنه لا مانع من جعل الحوادث التي وقعت في عهده ﷺ جزءاً من قصص القرآن فالقرآن كله لولي سوء في ذلك ما يتعلق بحوادث غيرة و ما حدث للأنبيااء السابقين لرسول و ما وقع في عهده ﷺ قال تعالى ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ، فِي نَوْحٍ مُخْتَلِفٍ ﴾ (١١) (١٢).

الفصل الأول

السور التي وردت فيها قصة نوح عليه السلام

بين يدي القصة : -

- ١ - ينظر : مبحث في علوم القرآن مذاق القطان ٣١٦ ، و المرشد الوافي في علوم القرآن د / محمود فودة ص ١٩٩ .
- ٢ - سورة طه آية رقم ١٩٩ .
- ٣ - سورة قهروج الآيات ٢١ ، ٢٢ .
- ٤ - ينظر . المرشد الوافي في علوم القرآن د / محمود فودة ص ٢٠٠ و ما بعدها .

قصة نوح عليه السلام ذكرت في عشر سور من القرآن الكريم و هي حسب ترتيب المصحف ^(١) (الأعراف ، يونس ، هود ، الأنبياء ، المؤمنون ، الشعراء ، العنكبوت ، الصافات ، القمر ، نوح) .

وهي في هذه السور على درجات متفاوتة في الطول والقصر وقد ذكرت فيها عدة أصناف ، وفي عدة سور .

وقبل عرض القصة كما وردت في سورة القرآن الكريم لود أن نشير إلى أمرين أرى من الضروري الإشارة إليهما -

الأول : أن السور التي ورت فيها قصة نوح عليه السلام كلها مكية ^(٢) وغالب القرآن لمكي يهتم بأمور ثلاثة :

١ - توحيد الله سبحانه وتعالى ونفي الشرك عنه و بيان مظاهر قدرته و تصرفه في الخلق و التكريم و الإنشاء .

٢ - إثبات نبوة محمد ﷺ و أنه رسول من الله سبحانه و أن القرآن كلام الله المنزل عليه ، و أنه الحق الذي لا شبهة فيه

٣ - إثبات لبعث و الجراء يوم القيامة ، و إقامة الأئمة على حدوث ذلك و أنه لا ريب فيه .

١- وحسب ترتيب السور { القمر - الأعراف - الشعراء - يونس - هود - الصافات - نوح - الأنبياء - المؤمنون - العنكبوت }
٢ - بالنسبة لسورة العنكبوت فالتحقيق فيها أنها مكية ما عدا الآيات الإحدى عشرة الأولى منها فإنها مدنية و هي التي ذكر فيها المسافقون : ينظر منازل المعرفان للرفقاني ١ / ١٩٨

وقد نحق من ذكر قصة نوح في القرآن عدة أهداف الثلاثة التي يدعو إليها القرآن المبكي .

وبالنسبة إلى توحيد الله في العبادة ، وما يتبعه من نهي الشركاء وبيان حقيقتهم

جاء في سورة الأعراف قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ ﴾ ^(١) .

وجاء في سورة هود قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ، أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْقِيَامِ ۖ ﴾ ^(٢) .

وجاء في سورة المؤمنون قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۖ ﴾ ^(٣) .

وجاء في سورة نوح قوله تعالى : ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ، أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا وَأَطِيعُوا ۖ ﴾ ^(٤)

وبالنسبة إلى إثبات نبوة محمد ﷺ وأنه مرسل من عند الله وأنه صادق فيما ادعاه من نفسه وعن القرين من أنه كلام الله جاء في سورة هود بعد قصة نوح لقوله ،

قوله تعالى ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَكْتُمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ۖ ﴾ ^(٥) .

١- سورة الأعراف آية رقم ٥٩ .

٢- سورة هود الآية رقم ٢٥ ، ٢٦ .

٣- المؤمنون آية رقم ٢٣ .

٤- نوح الآية رقم ٢ ، ٣ .

وبالنسبة لإثبات البعث يوم القيامة وأنه حق لا ريب فيه جاء في سورة نوح قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ كُفِّرْنَاكَ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ، ثُمَّ يُعَذِّبُكَ فِيهَا وَيُخْرِجُكَ مِنْهَا ﴾ (١) .

الثاني : أن القصة لم تذكر بجميع حوائثها وتفصيلاتها في سورة واحدة ، ولكن هذه الأحداث وتلك التفصيلات وردت علي جميع السور التي وردت فيها القصة ، ثورياً بمسب سبب القصة ، ويخدم موضوعها ، ويتلاحم مع الإطار العام بها .

هذا ويمكن حصر هذه الأحداث وتلك التفصيلات في العناصر التالية : -

١ - إثبات نبوة نوح عليه السلام ورسالته .

٢ - أن قوم نوح كفروا كانوا يعبدون الأصنام فدعاهم إلي عبادة الله وتوحيده متديداً في ملكه أحسن الأساليب وأحكمها .

٣ - أن الأشراف من قومه لم يستجيبوا لدعوته بحثقاراً لكتابه من الضعفاء .

٤ - أن الأشراف من قومه وصغوه بالجنون وهندوه بالقتل .

٥ - إصرار الأشراف من قومه علي التكذيب والعداء والاستكبار كلما أصر علي دعوتهم إلي توحيد الله وعبادته وترك عبادة الأصنام .

٦ - إظهار ما كان عليه نوح عليه السلام من شجاعة وقوة ، وهو يبلغ رسالة ربه .

١- هود آية رقم ٤٩ .

٢- نوح الأيتان رقم ١٨ ، ١٧ .

٧ - إِنَّهُ الْكَافِرُ لَمْ يَطْلُبْ مِنْهُمْ أَجْرًا عَلَى دَعْوَتِهِ .

٨ - بِخَبَرِ اللَّهِ لَنُوحٍ الْكَافِرُ أَنَّ قَوْمَهُ نَزَّ بِإِذْنِهِ مِنْهُمْ ، إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ وَذَلِكَ بَعْدَ رَمْلِ طُوبَى لِمَنْ تَبِعْتَهُ مِنْهُمْ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ وَيُصْبِرُ عَلَيْهِمْ .

٩ - دَعَاءُ نُوحٍ الْكَافِرُ عَلَى قَوْمِهِ بِالْهَلَاكِ ، بَعْدَ طَلْبِهِمْ لِإِزَالِ الْعَذَابِ الَّذِي بِهِمْ .

١٠ - أَنَّ اللَّهَ اسْتَجَابَ لِدَعْوَتِهِ فَأَمَرَهُ بِصَنْعِ السَّفِينَةِ تَمْهيدًا لِلْإِنْقَادِ هُوَ وَمَنْ آمَنَ مَعَهُ .

١١ - سَحَرِيَّةُ الْأَشْرَافِ مِنْ نُوحٍ الْكَافِرِ كُلَّمَا مَرَّ عَلَى رَأْسِهِ بِصَنْعِ السَّفِينَةِ ،

١٢ - حُلُولُ الْأَجْلِ الَّذِي لَعَنَهُ اللَّهُ وَقُدْرَةُ الْخُطُوفِ وَكَانَ مِنْ عِلَاقَةِ ذَلِكَ فُورَانِ الْمَاءِ مِنَ التَّنَوُّرِ .

١٣ - أَنَّ اللَّهَ أَمَرَ أَنْ يَحْمَلَ فِي السَّفِينَةِ مَنْ آمَنَ مَعَهُ مِنْ أَهْلِهِ وَمَنْ ظَلَمْتُمْ وَأَنْ يَحْمَلَ مَعَهُ أَيْضًا مِنْ كُلِّ رَوْحَيْنِ كَثِيرِينَ .

١٤ - دَعْوَةُ نُوحٍ وَلَدِهِ لِلرُّكُوبِ فِي السَّفِينَةِ وَرَفْعُ وَلَدِهِ لِهَذِهِ الدَّعْوَةِ

١٥ - تَحَمُّسُ نُوحٍ عَلَى وَلَدِهِ وَتَعْثِيهِ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُنَاجِبِينَ .

١٦ - عِقَابُ اللَّهِ لَنُوحٍ الْكَافِرِ وَإِخْبَارُهُ بِأَنَّ هَذَا الْوَلَدَ مِنَ الْكَافِرِينَ .

١٧ - بِرِشَادِ اللَّهِ لَهُ الْكَافِرُ إِلَى مَا يَقُولُهُ عِنْدَ رُكُوبِ السَّفِينَةِ وَعِدِّ النَّفْسِ مِنْهَا .

١٨ - ذكر القصة التي ليدها في قوله يدعوهم إلى عبادة الله و توحيده و هي
 ألف سنة إلا خمسين عاماً .

١٩ - بيان أن النبي بقوا بعد نوح عليه السلام هم ذريته فقط .

٢٠ - بيان حسن العاقبة الطيبة للمؤمنين . و بيان سوء العاقبة السيئة
 للكافرين .

تلك هي أهم أحداث القصة كما وردت في القرآن الكريم في هذه السور
 العشر . وهذه الأحداث قد وزعت في السور للكرامة التي وردت فيها القصة .
 أحياناً نجد بعضها مرة واحدة ، ثم يغنى ^(١) على حين أن البعض الآخر نجده
 مرة ومرة ، ومرات كثيرة ولكن باللفاظ مختلفة ولأغراض تتجدد في المواقف
 والأحوال .

ولنبداً الآن بعرض القصة كما وردت في سور القرآن الكريم لنتبين أنها
 في كل سورة قد عرضت عرضاً جديداً يناسب السياق الذي وردت فيه ، ويتلاءم
 مع الإطار العام للسورة للكرامة لأن ذلك بعد وجهاً من وجوه إحصاء القرآن
 وسراً من أسواره .

السورة الأولى : سورة الأعراف ، وهي السورة السابعة في الترتيب
 المصحفي . وهي لأول سورة مكية في القرآن الكريم

والذي يتأمل في السورة الكريمة يراها قد اهتمت بإقامة الأئمة على
 وحدانية الله ، وعلى صديق رسوله محمد ﷺ ، وعلى أن يوم القيامة حق .

١ - وذلك مثل ذكر القصة التي ليدها يدعو قومه إلى عبادة الله و توحيد . و
 مثل حوارهم مع ولده و هو يدعوهم لركوب السفينة

وقد همت السورة الكريمة بعرص هذه الحقائق في أسلوبين يترين فيها

أحدهما : أسلوب التذكير بالنعمة ، وآخر أسلوب التحذير من العذاب والنعمة .

لما أسلوب التذكير بالنعمة فتراها وصفاً في لغتها لأنظار الناس إلى ما يملكونه و يحسونه من نعمة تمكينهم في الأرض ، و نعمة خلقهم وتصويرهم في أحسن تقويم . و نعمة تمتع الإنسان بما في هذه النعم من حيرات مسخرها الله به

و أم أسلوب التحذير بالعذاب فالصورة للكريمة راجعة به ، فلعن ذلك في قصص نوح ، وهود ، وصالح ، ولوط ، وشعيب ، وموسى مع قلوبهم .

وقد استغرق هذا القصة أكثر من نصفها ، وقد ساقت لنا السورة للكريمة ما در بين الأنبياء وبين أقومهم ، وما آل إليه أمر أولئك الأقوم الذين لم يستجيبوا لنصائح المرسلين إليهم^(١).

وقد بدأت القصة في السورة الكريمة من الآية التاسعة و الخمسين إلى آخر الآية الرابعة و الستين ، ولها يقول الله تعالى : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ لَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ، قَالَ اتَّخَذُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا نَقَرَّاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ، قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّهِ الْعَالَمِينَ ، أَلَيْسَ لَكُمْ رَسُولٌ أَمْسَلَكُمْ وَأَعَلَّمَكُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ، أَوْعَيْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَتَعْلَمُوا أَنَّكُمْ تُرْجَعُونَ ، فَكَذَّبُوا فَاتَّجَعَتْهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَفَرُوا قَوْمًا ضَالِينَ ﴾ .

ولايت نبدأ حديثها عن نوح عليه السلام بالقسم من الله بلى الله قد أرسل نوحاً إلى قومه . ندعاهم إلى عبادة الله و توحيده و إفراده بالعبودية ، وأنه عليه السلام قد حذرهم من سوء عاقبة التكذيب إلى ثم يستجيبوا إلى دعوته و لم يبالوا إلى ذلك ، عذب يوم عظيم . ولكن أشرف قومه أتهموه بالوقوف في الصلال . ولا تحرف ، عن طريق الحق و الرشاد لدعوتهم إلى وحدانية الله وعبادته و ترك عبادة الأصنام .

فرد نوح عليه السلام على قومه قائلاً لهم يا قوم ليس بي جناتة ، وليس بي خروج عن الحق و الرشاد ، إذا أمرتكم بعبادة الله و توحيده ، لأنني رسول من عند الله أدعوكم إلى ما فيه سعادتكم في الدنيا و الآخرة ، وبلغكم ما أوحاه الله إلى من الأنوار والنواهي ، والمواظع والرواجر ، والبشائر والندائر ، والعبادات والمعاملات ، وأتحرى ما فيه صلاحكم وخيركم فترشدكم إليه وأهتكم نحوه . كل ذلك من علم وبيان ، وليس غريباً يا قوم أن تأتي للرسالة على نسل رجل منكم ، يحذركم من عذاب الله على الكفر والمعصية وليعلمكم ما يكون به الخشية من الله ليرحمكم بسببها . ومع هذه الدلائل التي سألقاها نوح على صحة نبوته ، إلا أن أشرف قومه لصروا على تكذيبه ، وخالفوا أمر ربهم ، ولجوا في طغيانهم يعمهون . فكس عاقبتهم أن أغرقهم الله بالطوفان ، وأنجى نوحاً ولذين آمنوا معه ^(١) .

تلك هي قصة نوح مع قومه كما وردت في السورة الكريمة ، وهي قصيرة كالموصوعات التي وردت في السورة قبلها ، لكنها مشتملة على أهم ما تشتمل عليه الرسائل . رسول معلم يذكر بوعد الله ووعده الذي لا يتخلف ، وقوم يؤمن منهم جماعة ويكفر آخرون محتجين بأن الرسالة لا تكون لرجل . فينزل

١ - ينظر : للتفسير قوسيط ٥ / ٢٩٦ وما بعدها بتصرف وختصار . والتفسير الواضح د / محمد محمود حجازي ١ / ٧٢٥ وما بعدها بتصرف وختصار

عذاب الله المكيبين ، وأهم ما بهم به تلك الرسول كونه على صلاته إذ خرج على مكة لأولين

وقد موقد القصبة في السورة يحدّث أهل قسريدوب إخوانهم أهل الجنة أن يمشوهم شيئاً من الماء أو الطعام فيذكر أهل الجنة ، أن الله حرم ثمار الجنة وماها على الكافرين ، ثم تتعرض للسورة بصروب من الكفر الذي كان عليه القوم في الدنيا إلى أن تنتهي إلى حقيقة مؤداها ﴿ وَالْهَدَىٰ لِلْغَيْبِ يُخْرِجُ مَخَافَةً بِيَدَيْ رَبِّهِ وَالَّذِي خَفِيَ لَا يُفْرِجُ إِلَّا بِكَذِّكَ نَصْرَفَ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴾^(١)

ويذكر الأستاذ عبد الكريم الخطيب في تفسيره مناسبة هذه القصبة بما قبلها من آيات في سورة الكريمة يقول رحمة الله (بعد هذا العرض الذي تتجلى فيه قدرة الله وسعته المتكس في هذا الوجود ، ورحمته المبثوثة في كل المخلوق ، بعد هذا جامع آيات الله ليتحدث عن مشاهد من الكفر والضلال والمكر بآيات الله ونقيم فيها عبرة وعظة لهؤلاء المشركين الذين كذبوا رسول الله وبعثوه ، وأغنوه ومن آمن معه بالأسباب والصراة ، وفي هذا عزاء للنبي وللمؤمنين معه ، ووعد للمؤمنين وللصالحين أن يحل بهم ما حل بأقوام سالفين كذبوا رسول الله ومدوا إليهم المنتهم وأبغضهم بالضرر والأذى^(٢) .

ويقول صاحب الضلال رحمة الله (سورة الأعراف مكتبة ، وموضوعها الأساسي هو موضوع القرآن المكي المعقّدة ، والسورة الكريمة تعالج هذا الموضوع في مجال رحلة البشرية كلها مبتدئة بالجنة والعلأ الأعلى ، وعائدة على النقطة التي انطلقت منها ، وفي هذا المدى المتطاول تعرضن موكب الإنجلي من لدن آدم الخليل إلى محمد الخليل ، تعرض هذا الموكب الكريم بحمل هذه العقيدة

١- الأعراف آية رقم ٥٨ ،

٢- يلخص التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب ٤٩٨/٣ .

، ويمضي بها علي مدار التاريخ بوجه بها البشرية جيلاً بعد جيل ، وقبلاً بعد قديم ، ويرسم سياق لقصة في تقاسقه كيف استقبلت البشرية هذا الموكب وكيف جابوته ، وكيف وقف للملأ لهذا الموكب بالمرصاد ، وكيف تخلى هذا الموكب أرساده و مضى في طريقه إلى الله . وكيف كانت عاقبته للمكثبين وعاقبة المؤمنين في الدنيا والآخرة

ويقول أخصاً بعد ذكر القصة تعرض للقصة هذا باختصار ليست فيها التفاصيل التي ترد في مواضع أخرى من القرآن في سياق يتطلب تلك التفاصيل كالذي جاء في سورة هود وفي سورة نوح . إن الهدف هنا هو تصوير تلك المعالم التي تعدت عنها أنها طبيعة للعقيدة ، طريقة التبليغ ، طبيعة استقبال لقوم لها حقيقة مضاعرة الرسول تحقق النديم ، لذلك نذكر من القصة بحسب تلك الحقائق المحققة لتلك المعالم ، علي منهج لقصص القرآني (١) .

ومما سبق ذكره يتبين لنا أن قصة نوح عليه السلام في السورة قد ناسبت السياق الذي وريت فيه وتلاصحت مع إطار العمل لها .

السورة الثانية : سورة يونس عليه السلام وهي السورة العاشرة في ترتيب المصحف والسورة الكريمة شأنها في عرض الأحداث وأسلوب للحدوة شأن كل قصور للمكية ، فقد أهتم بإثبات وحدانية الله ، وإثبات صدق النبي ﷺ ، وإثبات أن هذا القرآن من عند الله ، وأن لمبعث حق ، وأن ما أورده المصنوعون من شبهات حول الدعوة الإسلامية قد ذكرت للسورة طرفاً منه ثم ردت عليه بما يبطله .

١ ينظر في ظلال القرآن ٣ / ١٢٤٤ وما بعدها يتصرف

يقول صاحب الظلال رحمه الله (انما صيغ الرقيم في سورة يوسف
في المصنوع اذ هو للفراس العكي ، و السورة تشاور محبوبانه ، وفق طريقها
الخاصة التي تحدد شخصيتها و ملامحها .

إنها توجّه ابتداء موقف لمشركين في مكة من حقيقة الوحي إلى رسول
الله . ومن هذا القرآن ذاته بالاتباع ، فتقرر لهم أن الوحي لا عجب فيه و من هذا
القرآن ما كان ليخبرني من نور الله .

وتواجه حبيبهم خارقة مناسبة غير القرآن واستعجالهم بالوعيد الذي يسمعون
فتقرر لهم أن آية هذا الدين هي هذا القرآن ، وهو يحمل برهانه في ثمره للمعجز
الذي يصدق به . وأن الآيات في يد الله ومشيقته وأن مواعدهم بالجر ، ينمق
بأجل يقدره الله والنبى لا يملك شيئاً فهو عهد من عهد الله .

وتواجه اضطراب تصورهم لحقيقة الألوهية و حقيقة للعبودية الأمر الذي
يحسنهم رسول الله فيه فوكذبوه بالوحي لو يشككون فيه ، و يطلبون قرآن غيره .

ثم تواجه ما يترتب على اضطراب تصورهم للألوهية وما يترتب على
تكذيبهم بالبعث و الآخرة و ما يترتب على تكذيبهم بالوحي و للداره (١)

وقد بدلت القصة في السورة للكرامة من الآية الحادية و السبعين إلى
نهاية الآية الثالثة و السبعين و فيها يقول الله تعالى ﴿ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ نُبَأَ نوحٍ إِذْ
قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكُرِي بآيَاتِ اللَّهِ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ
قَوَّيْتُ لِقَوْمِهِمْ لَمُرَكَّبَهُمْ وَتَرَكَاهُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْهِمْ شَيْئاً ثُمَّ يَفْضَحُوا إِلَيَّ وَلَا
يُنْظَرُونَ ، فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُمْ مِنْ أَجْرٍ إِن أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ

١ ينظر : الضلال ٣ / ١٧٤٦ باختصار .

لَكُنْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَكَذَّبُوهُ فَجَاءَهُ وَمِنْ مَتَعَةِ فِي النَّفْسِ وَجَعَلَهُمْ خَلَافَ
وَأَغْرَقَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ هَاطَرُ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠٠﴾

فأبانت نبدأ حديثها عن نوح عليه السلام بأمر الله لمحمد ﷺ أن يخبر قومه نيا
نوح عليه السلام مع قومه ، و الجهد الذي بذله في دعوتهم إلى التوحيد ، و الحق الذي
أظهره له ، و المكر الذي لرائه به ، ليعلموا أن سنة الله قد تقضت أن يجعل
العاقبة للمتقين .

فأخبر أنها الرسول كفار مكة الذين يخالفونك و يكذبونك ما قاله نوح لقومه
بعد أن دعاهم ليلاً ونهاراً وسمع منهم ما سمع من استهزاء بدعوته ، و تطاول
على كعبه ، يا قوم إن كل قد شق عليكم مقامي فيكم و تكذري بآيت الله الدالة
على وحدانية فأجمعوا ما تريدون جمعه من مكر و كيد بي ، ثم ادعوا شركاءكم
ليساعدوكم في ذلك ، فإني منس في طريقتي الذي أمرني الله به برب مهالاة
بمكركم . و بدور اهتمام بكم ، ثم لا يكن لكم . للذي أجمعتم على تنفيذه فيه
شيء من المستر أو الخفاء أو الالتباس الذي يجعلكم مترددين في المصير فيه لو
مقتنعين عن مهادنتي بما تريدون فعله معي ثم أدو إلى تلك الأمر الذي
تريدون أدائه من إسلامي أو إعتاكي بدور إندار أو إسهال . فإن أعرصتم أيها
الناس عن قولي و عن تكذيري بآيت الله بعد و قوفكم على أمري و على
حققة حالي ، فإني ما سألتكم في مقابل تكذيري لكم أو دعوتي لإياكم إلى الحق
من أجل نؤدوه لي ، بل أجري على الله وحده الذي يذيني على قولي و عملي
و هو الذي يعطيني من الخير ما يفتني على أجركم و عطائكم ، فقد أمرني أن
أكون من الصابرين بهدية ، المستمعين لقضيه و قدره .

ثم أخبر قومه أيضاً بالعاقبة الطيبة التي لآ إليها أمر نوح عليه السلام ، و العاقبة
المبجلة التي انتهت إليها حال قومه .

فقد اتجيب بـ ١٠٣ مر مرة من العوامير في السجينة التي صبت فيها بأمر الله و جعلها هؤلاء السجيرة حياء في الارض لأولئك المعرفين الذين عرفتهم بالصوفيين بعد أن كانوا يبيتون الدالة على وحدانيتنا وفكرنا ، فانظر يا من يداني منه النظر كبد كانت نتيجة تكذيب هؤلاء المندرين الذين لم تتع معهم للسر والآيات التي جاءهم بها نوح عليه السلام (١) .

تلك هي قصة نوح عليه السلام مع قومه كف وردت في السورة الكريمة . وهي قصة مختصرة تميرت بإظهار شجاعة نوح عليه السلام و بعده لقومه بعد الإندوار للطوبى و التذكير الطوبى الذي حدث منه لهم .

وأيضا ، بإعلان نوح لقومه بأنه لا حاجة إلى أجر يدفعونه على ذلك الإندوار والتذكير لأن به رباً يلى أمره ويثبه على عمله وقد أمره أن يكون من المسلمين .

ولكن تكذيب القوم كان سبباً في نزول العقوبة المنيئة بهم ، فأيت للقصة في السورة ثلاث فهي مخصص للقرآن قصة نبي الله نوح عليه السلام .

وقد سبقت القصة بإثراء المشركين على الله ونسبة الولد إليه وقد رد للقرآن على ذلك رداً مختصراً فيه التذكير كل التذكير ﴿ إِنَّ مِنْكُمْ مَنْ سُلِطَ بِهِمْ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْمُونَ فَإِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ، مَتَاخ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُنْفِخُ فِي الصُّورِ نَذِيرًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ (١) .

ثم جاءت هذه القصة بعد ذلك مباشرة لتكون تذكيراً للمشركين بما حدث للمكذبين من قبلهم لتعلمهم ويعقلون .

١ - ينظر التوسيط في تفسير القرآن ٧ / ١٠٣ وما بعدها بتصرف ، وختصر والتفسير الراصح ، / محمد حجازي ٢ / ١٠٣ بتصرف وختصر ٢ - سورة يونس الآيات من ٦٨ - ٧٠ .

يقول الأستاذ عبد الكريم الخطيب في تفسيره (ومناسبة هذه القصة لما قبلها هي أن ما ذكر في الآيات السابعة عليها كان عرضاً لمقولات المشركين المسكرة في الله ، وفترتهم للكتب على الله بسببه الولد إليه ، فهم آمنون بظالمون ، ولعمري في معرض عذاب الله ونعمته فتناسب أن يذكر هؤلاء الأئمة المشتركين بما أخذ الله به للظالمين قبلهم من نكال وبلاء يكون لهم في ذلك عبرة ، إلى كانت فيهم بقية من عقل وإدراك) (١) .

ويؤكد د / هاشم جودة رحمة الله أن قصة نوح في سورة يونس قد سبقت بطريقة مختلفة غير الطريقة التي سبقت بها في سورة الأعراف وأنه لا تكرار لما ذكر في السورتين ، فيقول رحمه الله (ولم تذكر القصة هنا - سورة يونس - بنفس السياق الذي وردت به في سورة الأعراف بل يلحظ التأمل في الله تعالى قد صرح في سورة الأعراف بأنه قد أرسل نوحاً إلى قومه ، ثم بكر سبحانه حواراً دار بين نوح والرسول وبين قومه هو يدعوهم إلى عبادة الله وحده هائفاً عليهم من العذاب العظيم وهم يتهمونه بالضلالة (لنا لئلا في ضلال مبين) وهو ينهاهم عن نفسه (يا قوم ليس بي ضلالة) ولكي رسول من رب العالمين) .

ويبين مهمته فيقول (أبلغكم رسالات ربي و أوصح لكم و أعلم من الله ما لا تعلمون) و يستنكر تعجبهم من أن جاءهم نكر من ربهم على لسان واحد منهم لينذرهم حتى يؤمنوا و يكونوا من المتقين .

وأنهى الحق هذا الحوار بقوله (فكنتموه فأنجيه و فليدين معه في الفلك و أعرافنا فدين كنوا بأياتنا إنهم كانوا قوماً عمن) .

١- ينظر : للتفسير القرآني ٤ / ١٠٤٩ .

أما هنا فلم يرد الحور المسوق في لأعراف بل هو كلام من روح نوحه
 يجمع فيه مدى الجهد الذي بذره نوح في دعوتهم إلى التوحيد و المدة للرمية التي
 قصدها القصة بينهم داعياً إلى الله والحقد الذي أظهره له والمكر الذي لوانه
 به ثم يبرر السياق روح القصة هنا قويا كقوى ما يكون مستمداً قوته من ثقته
 بالله و توكله عليه و عدم طمعه في الدنيا .

ثم يورد سبحانه النتيجة ، أيها هي في يونس ليست كما كانت في الأعراف
 بل يضاف إليها أنه جعل للساجدين منهم الإيمان خلائف في الأرض
 فسبحان من هذا كلامه طاهرة مكرر وحقيقته أنه لا تكرار فيه (١) .

ويذكر صاحب الظلال رحمة الله بن القصة في هذه السورة قد خدمت
 السياق الذي وردت فيه و ناسبت الإطار العام للسورة الكريمة بمقوله رحمة الله
 (إلى الحلقة التي تعرض هـ من قصة نوح ، هي الحلقة الأخيرة ، حلقة التحدي
 الأخير ، بعد الإنذار الطويل ، والتذكير للطويل ، ولا يذكر في هذه الحلقة
 موصوع السفينة ، ولا من ركب فيها و لا للطوفان . ولا حيلات في تلك
 الحلقة لأن الهدف هو إبراز التحدي والامتناع بالله وحده و بجد لرسول ومن
 معه وهم قلبه ، وهلاك المكسبين له وهم كثرة و قوة ، لذلك يختصر السياق هنا
 تفصيلات القصة إلى حلقة واحدة ، ويختصر تفصيلات الحقبة الواحدة إلى نتائجها
 لأخيرة لأن هذا هو مقتضى السياق في هذا الموضع (٢)

ويؤكد الأستاذ سعيد جوي في كتابه الأمان في تلك ب قصة نوح القصة
 في سورة يونس قد خدمت سياق السورة ، كما خدمت للقصة في سورة الأعراف

١ - ينظر نوح القصة هي القرآن و التوراة د / هاشم جوده ص ٢٦ ، ٢٧

رسالة دكتوراة بكلية أصول الدين بالقاهرة .

٢ - ينظر : الظلال ٣ / ١٨١٠ .

سياق السورة التي وردت فيها ولا يوجد تكرار لم ذكر فيهما فيقول رحمه الله (لاحظ هذا أنه جاءت قصة نوح عليه السلام ثم قصة موسى وفرعون ، ومن بعد هذه في سورة الأعراف ذكرت قصة نوح وقصة فرعون مع موسى ، ويكرر قصة موسى وفرعون ، وقصة نوح أكثر من مرة في القرآن مرة بشكل مطول ومرة بشكل مختصر ، فلم تكرر القصة الواحدة :

لنكر منها شيئين : -

الأول : أن كل مكان نرد فيه فإنها تخدم سياق السورة التي وردت فيها موضوعها ومحلها في الترتيب القرآني ، وقد لاحظنا هذا أن قصة نوح خدمت السياق العام لسورة يونس ، وهي نفي العجب ، وجنية الإنذار كجزء من معالجة الشك في القرآن ، بينما قصة نوح في سورة الأعراف خدمت سياق سورة الأعراف في قضية إزال الهم والهدى وموقف الناس منه وعاقبة ذلك ، وهكذا في كل مكان ، فمن القصص نخدم سياق السورة وموضوعها العام ومحورها في الترتيب القرآني الكبير .

الثاني : أن القرآن الذي من خصائصه أنه موعظة من ربكم هذا القرآن تأتي القصة فيه هي إطار تحقيق العظة ، والقصة الموعظة ترد مرة في السورة الطويلة ، ومرة في السورة المتوسطة ، ومرة في السورة القصيرة ، ومرة في قسم ، ومرة أو مرتين أو أكثر في قسم آخر ، ليأخذ التالي من حيث تلا العظة من الحالة البليغة .

فإذا استقر عدل الشئ في الأذهن نقول : إن قصة نوح في هذا المقام تخدم سياق سورة يونس ، فهي تخدم نفي العجب عن إرسال الرسول المندر ، وهي تخدم قضية شفاء القلب من الشك ، وهي في الوقت نفسه تربي المؤمن على

المواقف الصحيحة تجاه الكافرين وهي للمواقف التي يمتدحها القرآن بالوحي
للمنكر (١).

ومما سبق ذكره يتبين لنا أن قصة نوح عليه السلام في سورة نوح قد ناسبت
السياق التي وردت فيه وتلاءمت مع الإطار العام للسورة الكريمة ولا يوجد فيها
ذكر فيها تكرار لما ذكر في سورة الأعراف.

السورة الثالثة : سورة هود عليه السلام : وهي السورة الحادية عشر في ترتيب
المصحف .

والسورة الكريمة شأنها شأن كل السور للمكية قد اهتمت بما يلي -

- ١- ترغيب للناس في طاعة الله ، وتحذيرهم من معصيته .
 - ٢- إقامة الأدلة على أن هذا القرآن من عند الله وليس من كلام البشر .
 - ٣- تسمية الرسول ﷺ عما يحق له من أذى ، وما أصابه من تضهد ، وما
تعرض له من اعتداء .
 - ٤- بيان حسن عاقبة المؤمنين وسوء عاقبة الكافرين .
- ومن أجل ذلك ساقطت السورة الكريمة قصصاً لبعض الأنبياء مع أتباعهم
لتحقيق هذه الأغراض .

فقد ذكرت نوح عليه السلام متعددة من قصة نوح مع قومه . ومن قصة هود مع
قومه ، ومن قصة صالح مع قومه ، ومن قصة شعيب مع قومه ، ومن قصة لوط
مع قومه ، وقد تحدث خلال كل قصة عن المسالك الخبيثة والمجالات الباطنة

١ ينظر : الأمامي في التفسير ٥ / ٢٤٩٣ وما بعدها .

التي اتبعها الطغاة مع أنبياءهم الذين جاءوا لمعادتهم وهدويتهم ، وختمت كل قصة ببسبب عاقبة المؤمنين ، وعاقبة المكذبين .

يقول صاحب الطلال رحمة الله { فقصص في هذه السورة هو قولها . ولكنه لم يجهل فيها مستقلاً إنما جاء مصداقاً للحقائق التي جاءت السورة لتقريرها والتي أجملها السياق في مطلع السورة (« كَتَبْتُ أَحْكَمْتَ آيَاتُهُ ثُمَّ فَصَّلْتُ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَزِيزٍ . أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَّهُ لَكُم مِّنْ دُونِ وَهَّابٍ ، وَإِنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ ثُمَّ تُؤْبَوا إِلَيْهِ وَتُعْتَكَمُ مِنْهَا حَسْبًا إِلَىٰ لَّجَلٍ مُّسْمًى وَيُؤْتَىٰ كُلُّ دِي لِّضَلِّ لَضَلَّةٍ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَبِئْسَ أَهْلًا لَّكُمْ عَذَابٌ يَوْمَ كَبِيرٍ ، إِلَىٰ اللَّهُ مِنْ جَمْعِكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ »)^(١) . وقد تضمن مطلع السورة جولات متعددة حول هذه الحقائق ، جولات في ملكوت السموات والأرض ، وفي جدت النفس ، وفي ساحة الحشر ، ثم أخذ في هذه الجولة الجديدة في جنبات الأرض ، وبطوام التاريخ مع قصص الماصين يستعرض حركة العقيدة الإسلامية في مواجهة الجاهلية على مدار القرون .

والفصل هـ مفصل بعض الشيء وبخاصة يوم نوح والطوفان وهو يتضمن للجدل حول حقائق العقيدة التي ورسب في مطلع السورة والتي يجهل كل رسول لتقريرها وكلاماً للمكذوبين هم للمكذوبين وكأنهم طبيعتهم واحدة وعقليتهم واحدة على مدار التاريخ ()^(٢) .

وقد بدأت القصة في السورة الكريمة من خلال الآية الخامسة والعشرين إلى نهاية الآية التاسعة والأربعين وفيها يقول الله تعالى :

١ - سورة هود الآيات من ١ - ٤ .

٢ - ينظر : الطلال ٤ / ١٨٧٠ .

(واند ورسند نوح إلى قومه نبي نكده ندير مهيون) لا تعبدوا إلا الله
 إلى أحلف عبيكم عذاب يوم أقيم ، فاعل الملائقين كفروا من قومه ما برك إلا
 بشرا منك وما برك أتبعك إلا قديس هم أرسلنا هادي الرأى وما نرى لكم عليكم
 من فضل بل نطلبكم خاسرين ، قال يا قوم أرسلتم إلى نبي نكده على بينة من ربى
 واتلقى رحمة من عبده فصنعت عليكم أنذر مخموها وأنتم لها كافرين ، وب قوم
 لا نسلككم عليه مالا إلى لجرى إلا على الله وما كنا بطرود قديس امنوا بأنهم مفلطون
 ربهم وألغى أرسل قوم تجهلون ، وما قوم من ينصرتي من الله إلى طرسلهم
 أفلا تذكرون ، ولا نقول لكم عدي خرائن الله ولا أظلم الغيب ولا نقول قبي ملكة
 ولا نقول لنبي نذرى أعينكم أن نؤتيهم الله خيرا قلنا أظلم بما في أنفسهم قبي
 إذا نس قائلهم فلو يا نوح قد جعلنا فلكك جديا فلتنا بما نعبا أن نعت
 من الصنفين ، قال إني بأتيتكم به الله إلى نداء وما أقم بمعجرب ولا يفتقم
 يصحى إلى أرسأ أن تصبح نكده إلى كل الله نريه لي بخيركم هو ربكم وإليه
 يرجعون ، لم يفلون السراء قل إلى خيريتك طعن لجراسي وك برية متا
 نجرمون ، وأوحى إلى نوح أنه من يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تفتكن
 بما كانوا يفعلون ، وصنع الفلك بأعيننا ووحيدا ولا تخافن في الذين ظمروا
 بأنهم سفرون ، وصنع الفلك وكلم مر عليه ملا من قومه سفروا منه قل إن
 تسفروا من قبل تسفروا معكم كسفرون ، فسوف تعلمون من يأتيه عذاب
 يخزيه ويحل عليه عذاب عظيم ، حتى إذا جاء أمرك وفارقتو ، يحمل فيها
 من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن ، آمن معه إلا
 قليل ، وقال اركبوا فيها باسم الله سفراها ونزلناها لن ربي نطقوا رحمة ، وهي
 تجري بهم في موج كالجبال وتلقى نوح أبنة وكان في مكرن يا بني اركب معنا
 ولا تكن مع الكافرين ، قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم
 اليوم من أمر الله إلا من راحم رجال بينهم السوف تفس من المعرفين ولير يا
 برص لئني مذك وب سمع ألقى وغص الماء وقصص الأمر واستوت على

تجودي وقيل بعدا تلقون الظالمين وتنادى نوح ربه فقال رب إن بيتي من أهلي
وبن وعذك الحق وأنت أحكم الحاكمين ، قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل
غير صالح فلا تصالن ما ليس لك به عزم إلي أعطك أن تكون من الجاهلين ،
قال رب إنى أخوذ بك أن أسألك ما ليس لي به عزم وإلا تفقر لي وكرهني أكن
من الخاسرين ، قيل يا نوح خطب بسلام منا وبركت عليك وعلى أمم ممن معك
وأمم سمعتهم ثم ومنهم منا عذاب أليم ، تلك من آيات نوح بها إليه ما
كنت تعلم أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر إن العاقبة للمتقين)

فالأيات تبدأ حينها عن نوح عليه السلام بالقسم من الله تبارك وتعالى إلى الله قد
أرسل نوحاً إلى قومه فدعاهم إلى توحيد الله وعبادته . ثم حذرهم من عبادة غير
الله . لأن هذه العبادة ستؤدي بهم إلى الفلوع في العذاب الأليم . فرد عليه السادة
من قومه قائلين له يا نوح لست إلا بشراً مثلاً . وأتباعك هم أحقر شأن . وما
برى لك و لمحبك شيئاً من الزيادة علينا لا في العقل ولا في غيره . بل إنك
تعتقد أنكم كاذبون في دعواكم أنكم على الحق . لأن الحق في نظركم هو عبادة
هذه الأصنام التي عبدها من قبلنا أبائنا .

فرد نوح عليه السلام على قومه قائلاً لهم يا أهلي وعشيرتي أخبروني إن كنت
على بصيرة من أمري وحجة وصحة من ربي بها يبين الحق من الباطل وقد
مدحني الله بفصله و حسناته النبوة التي هي طريق الرحمة لمن آمن بها واتبع من
اختاره الله له . فأخبر عليكم هذه الرحمة . وعذب عذكم الانتفاع بهدايتها
لأنكم ممن استحب القمى على الهدى . فهل تستطيع أن وأتباعي أن نجبركم
بجباراً على الإيمان بي وعلى التصديق بنبوتي . وأنتم كارهون لها تفرزون منها
إننا لا نستطيع ذلك .

ويا قومي أنا لا أصيب منكم مالا مقابل تبليغ ما أمري ربي بتبليغه إليكم
لأن الله وحده هو الذي يثيبني على دعوتي إلى عبادتكم له . وما أنا بطارد للدين
أمو بدعوتي . لأن مصيرهم إلى الله تعالى فيحاسبهم على سرهم وعلمهم أنا
شأكتني منهم بطواهرهم التي تدل على صدق إيمانهم . وشدة إخلاصهم . ولكني
أراكم قوماً تجهلون القيم الحقيقية التي يقرر بها الناس عدد الله . وتجهلون أن مرء
الناس جميعاً إليه وحده سبحانه .

ويا قومي من الذي يحميني ويجبرني من عذاب الله إن طردت هؤلاء
المؤمنين من مجامعي . ألا تذكرون أن لهم رباً ينصرهم إن طردتهم .

وبم يكتف نوح الخليل بهذه العبر و لمعظت التي أخبر قومه بها بل أحد بين
بهم حقيقة أمره ويرد على شبهاتهم فلي تأروها قللاً لهم أنا لا أقول لكم إن
قنبوة التي وهبني الله ليها . تجعلني لملك خرائن أرزقه سبحانه . فأصبح من
الأغنياء وأعطي من أنشاء بهير حسب وأيضاً : لا أقول لكم لي أعلم الغيوب
فلي اختص الله بعلمي . أو لأعلم أن لي صلة بالله غير صلة القنبوة . ولا أقول
لكم لي من الملائكة بل أنا بشر مثلكم أكل مما تأكلون منه واشرب مما تشربون
منه . ولا أقول لكم أيضاً لي شأن الذين تتظفرون إليهم نظراً لاحتقار واستصغار
إلهم كما نزعون أن يستعدهم الله في دنياهم وأخرهم . بل أقول لكم لي الله
سبحانه وتعالى سيؤتيهم ما يحق لهم للمعادة إلا شاء لأنه سبحانه عليم بم
نفوسهم من خيراً وشرأ وإني لمن الظالمين لأنفسهم ولغيري هذا إذعيت خير ذلك

وعندما عجز القوم عن الرد على نبيهم بأسلوب مقارعة الحجة بالحجة
قالوا يا نوح قد خالصت وحاججتنا فأكثر جدالنا . ولم ندع لنا حجة . لا ليطاها
وردنثي حتى سئعنا وملنا . فأتنا بم تعذب به من العاصي في الدنيا والآخرة لي
كنت من الصادقين هي قولك إني لأدب عليكم عذاب يوم عظيم

فرد نوح عليهم بقوله : إنما يأتيكم بهده العذاب الذي تستعجلونه الله تعالى وحده في شيء ذلك لأنه هو الذي يملكه وما أنتم بمستطيعين للهروب من عذابه متى اقتضت مشيئته أنزل العذاب بكم ، لأنه تعالى لا يعجزه شيء . ولا ينفعكم نصحي لكم وإخلاصي معكم في شيء أبدا في أردت ذلك في كل الله يريد لي بخيركم فلا ينفعكم نصحي أبدا بسبب إصراركم على الجحود والعناد ، وإلى الله وجه المرجع وللعذاب ليجازيكم الجراء الذي تستحقونه

فأمر الملأ على تكذيبه والإعراض عن دعوته فلوحى الله إليه بأنه يا نوح لن يؤمن من قومك إلا من آمن بالفعل فلا تعرن على كفرهم ولا تبتسئ لهم فقد سبق فيهم القضاء ، وحيث كلمة ربك على الذين كفروا أنهم مفزقون ، فأصنع الفلك برعيتك وتوجيهها وإرشاد لتكون وسيلة لنجاتك من الغرق أنت ومن آمن معك ولا تخاطبني يا نوح في شأن هؤلاء الظالمين ، فقد صبر لخصالي بإغرائهم ولا راد لقضائي .

فامتثل نوح لأمر ربه وبدأ يصنع للفلك . وكثما مر عليه جماعة من أشرف قومه سخرُوا منه وسهروا به ظانين أنه مجنون ، فرد عليهم نوح بالقول قائلاً لهم إن تسخروا من اليوم لصنع الفلك فإن في الوقت القريب سيمطر منكم سحابة مثل سحابتكم إذا وقع عليكم للفرق ، وهاهنا وقت نزول العذاب بكم .

ولما حال وقت نزول العذاب بالكافرين ، وتحققت العلامات لدلالة عليه ، أمر الله نوحاً ^{عليه السلام} أن يحمل معه في الفلك من كل نوع من أنواع الحيوانات التي هو بحاجة إليها ، وأن يحمل فيها أيضاً من آمن بدعوته من أهل بيته ، وكذلك من آمن بدعوته من المؤمنين ، وامتثل نوح لأمر ربه فعمل في الفلك من أمره ربه بحملهم معه ، ثم قال لهم عند ركوب الفلك قولوا بسم الله جريها في هذا قطوفاً عظيماً . وبسم الله إرساء في المكان الذي يريد الله تعالى إرساءها

فيه إن ربي عظيم المغفرة وعظيم الرحمة لمن كان مطيعاً له مطعماً في عيالته .

فركب نوح ومن آمن معه في الفلك وهم يقولون جسم الله . وأخذ الفلك يجرى بهم . وقبل أن يشتد الصوفان وترتفع أمواجه شاهد نوح الفلك أحد أبنائه يدركه الفرق فقال له بعد طلبة الأيووب بني ركب معنا في السفينة ولا تكن مع الكافرين فرد عليه إنه قال سألتجئ إلي جبل من الجبال فعالية لكي ألتصق به من وصول الماء إلي . فقال له نوح الفلك . لا معصوم فلنوم من عذب الله إلا من رحمه الله بلسفه وإحصائه . ثم كانت النتيجة أنه غرق مع الغرقين .

وبعد أن غرق الكافرون وبقا نوح ومن معه من المؤمنين أمر الله الأرض أن تبتلع ماءها . والصفاء أن تمسك من إنزال الماء له . لتسقية بعد ذلك علي الجبل المذكور في القرآن .

ولما رأى نوح الفلك نهاية القوم للظالمين . ولأن ابنه كان معهم نادى علي ربه أن يرحم نبيه . لأنه من أهله للدين وعظم الله بنجاتهم . فرد الله عليه قلائداً له . بن ابنك هذا ليس من أهلك الدين وصنك بنجاتهم بل هو مع سبق ظنيه لفعل بسبب كفره . ولا تسألني يا نوح شيئاً ليس ذلك به علم صحيح إنه حق وصواب إنني أعظك أن تكون من الجاهلين

فتنبه نوح الفلك إلي ما أرشده إليه ربه فبأنزل بطلب الصبح والخير حتى لا يكون من الخاسرين .

فيشره ربه بقبول توبته وقال له يا نوح اهبط من السفينة مصحوباً منا بالأمان مما تكره وبالحيرت الذميمة والنعم الثابتة عليك وعلي أمم متشعبة

ومفرقة وإنشئة من الأمم المؤمنة التي مستهبط محك بعد أن أنجاهم الله بفصله ورحمته من العذاب الذي حل بالكافرين من قومك وادم من الدرية سميتهم في الدنيا ثم يصطرونهم إلى عذاب اليوم هي الآخرة وبذلك نكرهم وعادهم^١

تلك هي قصة نوح مع قومه كما وردت في السورة المذكورة ، وهي قصة طويلة تميزت بذكر ما دار بين نوح وقومه بالتفصيل ثم ذكر للهدية لهم وبناء السفينة ، وذكر قصة نوح حتى لا يطمع ولد في ولده ولا ولد في ولده بل كل نفس بما كسبت رهينة .

ولا يوجد فيما ذكر في هذه القصة تكرار لما ذكر في سورتي الأعراف ويونس وبدا في أول الأمر للتوفيق بين بداية القصة الواردة عن نوح في سورة الأعراف وبين بداية القصة هنا في سورة هود ففي سورة الأعراف يقول تعالى (لقد أرسلنا نوحا) وهذا يقول تعالى (وقد أرسلنا نوحا) .

(لا أنه بعد قراءة القصة هنا) تجد مناقشة قوية بين دعوة الحق ووجود أهل الباطل ، تري فيها صاحب الحق يدلي بالبيانات ، وتري فيها أهل الباطل يتخرب من الحسن دليل على الحق وحسبهم كاذب فيستكبرون على أن الدعوة ليست دعوة حق بأن لشعبها الفقراء الأذلة في أعينهم الذين يردونهم ، ولذنب القوم بجانبهم بالتي هي أحسن ، وهو سوق البهت ، ولكنهم يكرهون بدعوة الحق ، فيخبره ربه بأنه بلغ لمرسالته ولن يؤمن أحد من قومه لم يكن قد آمن إلى العذب نازل لا محالة ، ويأمره أن يصنع السفينة فيقوم بصنعها والقوم ينظرون إليه ساخرين غير عالمين بالعاقبة التي تنتظرهم) والغاية التي قدرها الله تعالى من هذا البناء وتجد ذلك للتور وقد فلا لبائنا بالقرآن وقت الصوف

١ - ينظر الوسيط في نصير القرآن ١٨٩/٧ وما بعده بتصريف واختصار والتفسير الوسيط في محمد حجازي ١١٧/٢ وما بعدها بتصريف واختصار

الذي لم يبق حذراً إلا من آمن ووجد حبال الأب ورضعه بوقته ، والأب وقد شرد
شرد الصبا ، ولا يتعدى عن التصديق ، حتى حسب أنه بسجده من الحرق ، إلى
عنصم بجبل اوي إليه ، وحال بينه وبين أبيه الموح ، فكان من المعرقين ،
والأب تنفطر بعينه شعبيه شفقة الأبوّة عن رؤية لمارك الموت ويتجه إلى ربه
بأكبر حزن ، إذ سجا أهله إلا بهه فينبهه الله تعالى إلى الواجب ويبين له أن بهه
دخل في عموم الكافرين ،

يبدأني ربه فقلنا ' رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم ولا
تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين ' (١) .

قصة مفصلة متكاملة لا نجد لها نظيراً في بقية سور القرآن للولادة هي
القصة فضلاً عن أن يوجد فيها تكرار لما ذكر في سورتي الأعراف و يونس ،

والقصة جاءت مناسبة للسبب الذي وردت فيه و تلاصقت مع الإطار العام
للسورة فكريمة .

أما مناسبة السياق الذي وردت فيه فقد حدثنا عن ذلك الأستاذ عبد الكريم
في تفسيره فقال (إنها تعرض من الماضي صورة الصراع بين الحق والمبطل
وبين المحقين والمبطلين بعد أن عرضت الآيات السابقة موقف قاصداً بين النبي
وقومه وما يدعوهم إليه من هدى وخير وما يلقونه به من حسد و تكذيب .

وفي ذكر أخبار لاولين وما في تلك الأخبار من مواقف مشبهة للأحداث
الجارية التي يعيش فيها الناس يومهم هذا ، تكثير لهم بتلك الحقيقة التي تفررت

١- ينظر معجزة القرآن ١ / محمد أبو رهرة ص ١٣٥ وما بعدها يتصرف

بحكم الواقع ، وهي أن الناصر دائما بمؤمنين وأن الخري والهوان دائما على المكذبين للكافرين (١) .

لما ملاممة القصة للإطار العام للسورة الكريمة فقد ظهر في أثناء عرض القصة طمأنينة لرسول والمؤمنين معه ، وقطع حجة للكافرين وإحباط أهل مكة من محمد لم يأت بهذا القرآن من عند نفسه إنما هو من عند الله ، وذلك من خلال قوله تعالى في أثناء القصة « لَمْ يَقُولُوا لِقَوْلِهِ قُلْ إِنْ التَّائِبَةُ فَعَلَىٰ إِجْرَائِي وَأَنَا بِرَوْءٍ مِّمَّا تُجْرِمُونَ » .

والمعنى لقد سقطا لك يا محمد من أخبار السابقين ما هو الحق الذي لا يحوم حوله باطل ، ولكن المشركين من قومك لم يعتبروا بذلك ، بل يقولون ذلك قد التزيت هذا القرآن فقل لهم : إن كنت قد التزيت علي سبيل الغرض ، فعلي وحدي إجرامي وفلترائي الكذب ولنا برؤى من عقوبة إجرامكم والفرانكم للكذب (٢) .

وأيضا من خلال ما نكر في نهايتها من قوله تعالى « تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا كُنْتَ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَانُوا مُصِيفِينَ » .

أي تلك القصة التي قصصتها عليك من أخبار الغيب الماضية ولا يعلم تفاصيلها أحد موانا ، ففسر علي أي قومك كما صدر أخوك نوح من قبل أن للعاقبة الحسنة والطيبة للمؤمنين .

١ - ينظر : التفسير القرآني للقرآن ١٢٨/٤ وما بعدها .

٢ - ينظر : التفسير الوسيط ٢٠٠/٧ .

يقول الزلزي في تفسيره (من قال قاتل . إنه تعالى ذكر هذه القصة في سورة يونس ثم إنه عاودها ههنا مرة أخرى فما الفائدة في هذا التكرير ؟)

قلنا : إن القصة الموحدة قد ينتفع بها من وجوه :

ففي السورة الأولى كان للكفار يستعجنون نزول العذاب . فذكر تعالى قصة نوح في بيان أن قومه كانوا يكتبونه بسبب أن العذاب ما كان يظهر ثم في العاقبة ظهر فكذلك في واقعة محمد .

وفي هذه السورة (هود) ذكر هذه القصة لأجل أن الكفار كانوا يبالغون في الإيهامات فذكر الله تعالى هذه القصة لبيان أن لكدام الكافر على الإبداء والإيهامات كان حصلا في زمان نوح عليه السلام لا أنه عليه السلام لما صبر نال الفتح ولاظفر . فكن يا محمد كذلك لتقال المقصود ولما كان وجه الانتفاع بهذه القصة في كل سورة من وجه آخر لم يكن تكريرها خاليا عن الفائدة (١) .

ومما سبق ذكره ينبغي لنا أن قصة نوح عليه السلام في سورة هود قد نسبت السياق الذي ورث فيه وتلاصقت مع الإطار العام للسورة الكريمة ولا يوجد فيما ذكره تكرار لما ذكر في سورتي الأعراف ويونس

السورة الرابعة ، سورة الأنبياء عليهم السلام ، وهي السورة الحادية والعشرون في ترتيب المصحف .

والسورة الكريمة شأنها شأن كل السور المكية . ذكرت أدلة متعددة على وحدانية الله تعالى . وعلي صدق الرسول فيما يبلغه عن ربه . وعلى أن يوم القيامة حق كما ذكرت شبهات المشركين وردت عليهم بما يبطلها . كما سافت

١- ينظر : تفسير الزلزي ٨ / ٩ .

بمادج متعددة من قصص الأنبياء عليهم السلام . وفي نهاية حديثها عنهم ، ععبت بالمقصود الأساسي من رسالتهم . وهو دعوة قدام جميع إلى إخلص العبادة لله تعالى ، وأنهم جميعاً قد جاءوا برسالة واحدة وهي جوهرها فقال تعالى ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ (١) .

وقد بدلت القصة في السورة الكريمة من الآية السادسة والستين إلى نهاية الآية السابعة والستين . وفيها يقول الله تعالى : ﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنُوحَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ، وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (٢) .

فالآيات يتحدثان عن نوح عليه السلام بأنه دعا على قومه بالهلاك قبل غيره من الأنبياء قدام جاور بعده ، فاستجاب الله له ، وأنزل بهم الهلاك وأغرقهم بالماء ، وأنجي نوحاً والمؤمنين معه من الفرق والكذب الشديد ونصره على القوم الكافرين المكذبين و ذلك جراء العدلين .

ذلك هي قصة نوح كما وردت في السورة الكريمة ، وقد جاءت مختصرة في آيتين يقول الله فيهما أن نوحاً عليه السلام نادى من قبل هؤلاء الأنبياء المذكورين معه في السورة فأجابه سبحانه و هلك المكذبين .

وللقصة في السورة الكريمة قد ناسبت السياق الذي وردت فيه وتلائمت مع الإطار العام للسورة الكريمة .

١- سورة الأنبياء آية رقم ٩٢ .

٢ - سورة الأنبياء الآية رقم ٧٦ ، ٧٧ .

في بداية السورة الكريمة يذكر الحق تبارك و تعالى أنبيه أنه قد أرسل إلى الأمم السبعة رسلاً من ليثرو يدعوهم إلى عباده الله و توحيده . فما كان منهم إلا أنهم كفرو بربههم و كذبوا أنبيائهم فأهلكناهم و اتجيب المؤمنين

قال تعالى ﴿ وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم فاسألوهم أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون . وما جعلناهم جسداً لئلا يأكلوا من الأرض و كانوا خالدين بلّم صدقناهم الوعد فأنجيهم ومن نشاء وأهلكنا المسرفين ﴾^١

ثم جاءت قصة نوح في السورة لتؤكد هذه الحقيقة .

وفي السورة أيضاً يأتي قوله تعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾^٢

دلالة للكريمة مخاطب الله فهي نبيه مبيّن أنه أن الأنبياء و المرسل الذين بعثهم الله من قبلك جميعاً من عهد نوح إلى عهد كلهم أمّة واحدة و الله ذو حد رب الجميع وقد سبق قصة نوح و خبره من الأنبياء في السورة تكهيت هذه الحقيقة و تؤكد في النفوس لأن الحق سبحانه و تعالى عيب على جميع القصص الواردة في السورة مخاطباً جميع الرسل على لسان أخيه محمد ﷺ بقوله . ﴿ إن هذه أمتكم أمة واحدة و أنا ربكم فاعبدون ﴾^٣

و يقول الأستاذ سعيد حوى رحمة الله في تفسيره ريادة على ما سبق :

- ١ - سورة الأنبياء الآيات من ٧ - ٩ .
- ٢ - سورة الأنبياء آية رقم ٢٥ .
- ٣ - سورة الأنبياء آية رقم ٩٢ .

١- إن أول شيء يربط القصة بسباق السورة هو كونه بشر رسولاً ، هو الشيء الذي حول المشركين لستبعاده ، كما ذكر الله في أول السورة ﴿ وَأَسْرُوا لِلنَّجْوَى الْقَبِينَ ظَلَمُوا هَلْ نَدَا إِنَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ﴾ (١) .

٢- في قصة نوح القصة بين لعاقبة مكر الكافرين ، إذ عوفوا بسببه وفي هذا تنكير للمشركين بما قصه الله في السورة عن حال المعرضين إذ ينزل بهم العقاب

٣- أن قصة نوح تكل على أن العبدة بالغولتهم ، فقد أنجاه الله و نصره على القوم الكافرين ، وفي ذلك إشارة إلى أن استعجال المعرضين عن طوحي للعذاب يذل على جهلهم بسنة الله (٢) .

والقصة هنا لم تذكر بنفس السورة التي ذكرت بها في السورة السابقة ، وإنما ذكر جانباً منها لم يذكر في الأعراف ، ولا في يونس ، ولا في هود ، وهو أن نوحاً استغث بالله من قومه و ناداه لينصره عليهم ، وأن الله قد أنجاه هذا الدعاء ونصر نوحاً ونجاه و أهله من الكرب العظيم.

ومما سبق ذكره يكين لنا أن القصة في السورة الكريمة قد تأسبت السياق الذي وردت فيه وتلاصقت مع الإطار العام للسورة ولا يوجد فيما ذكر فيها تكرار لما ذكر في السور السابقة فتي وردت فيها القصة .

السورة الخامسة : سورة المؤمنون : وهي السورة الثالثة والعشرون في ترتيب المصحف .

١ - سورة الأنبياء آية رقم ٣ .

٢ - ينظر : الأساس في التفسير ٧ / ٣٤٧٩ ينصرف

وشأنه، كشأن غيرها من السور الملكية { إلا أنها ممتازة عن غيرها من السور للمحبة بأنه يعلب عليها طابع تقرير النبوة ، حيث أنكر الكفار نبوة محمد ﷺ مكنوه بشر يأكل للطعام و يمشي في الأسواق ترهبُ منهم ، أن يرسل إليهم بشراً مثلهم بقودهم

﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَكَوُنَ أُنزِلْنَا مَلَكًا لَقُصِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يَنْظُرُونَ ، وَكَوُنَ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا نُجْعَلُنَاهُ رَجُلًا وَكَتَبْنَا عَلَيْهِ مَا يُلَبْسُونَ ﴾ (١) .

﴿ وَقَالُوا مَا هَذَا الرَّسُولُ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْ كُنَّا أُنزِلَ إِلَيْنَا مَلَكٌ لَأَكُونُ سَعَةً نَذِيرًا ﴾ (٢) .

فجاءت هذه السورة لتبين من يستحق الاستعلاء والرفعة من البشر ، ألا ترى أنه بدئت ببيان من أفلح من المؤمنين وصفاتهم ، ثم بدئت بأصل الإنس ونظوره ، ثم من بقدره الله وأنه هو الخالق الباري وأن من قدر على ذلك فهو القادر على كل شيء .

ثم تعرضت لنعم الله على إيمان حيث أنزل من السماء ماء وأنشأ لك يا بن آدم ثنائاً وعليها وعلى الفلك تحملون (٣) أبقى بك أن تصبى أمره وتغالف فيه ؟

ثم صرحت الأمثال بقصص الأنبياء و الأمم السابقة . ضاربة على وتر واحد في هذه السورة ، مبينة أن سبب الكفر فكرة خاطئة و هي أن البشرية تتنافى مع الرسالة ، فكل من ادعى النبوة من البشر ليس نبياً حقاً .

١ - سورة الأنعام الآية رقم ٨ / ٩ .

٢ - سورة الفرقان آية رقم ٧ .

٣ - سورة المؤمنون آية رقم ٢٢ .

كل هذا، تسلية للرسول ﷺ ليعلم أنه ليس بدعاً من الرسل ، وأن الناس هم للناس ، وأن طريقة التكذيب واحدة ، وأن للذهبية واحدة للجميع " فأخبرهم الصبيحة بالحق فجعلناهم غثاء همداء لقوم الضالين " (١) (٢) .

ثم ذكر قوائم البشرية المسحوبة أن يأكل الناس و الرسل من الطيبات ، و أن يعملوا الصالحات ، و ألا يغتروا بما لوتوا من مال و بنين ، فهي الكريم عند الله هو التقى الأمين .

ثم أحد بصور لهم بعض مشاهد القيامة تصويراً رائعاً يرسل للقلوب ، و طنب من ديبه أن يذكر لهم هذه المشاهد التي يظهر فيها حال المؤمن و حال الكافر .

وقد بدلت القصة في السورة للكريمة من الآية الثالثة و العشرين إلى نهاية الآية للثلاثين و فيها يقول تعالى :

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا بِأَنِي قَوْمِي فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنَّمَا تَتَّبِعُونَ ، فَقَالَ الْمَنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِنَّا بِكُمْ مِنْكُمْ بِرَبِّهِ أَنْ يَتَّخِذَ عَلَيْكُمْ وَكُوفًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَنُفِزَنَّكُمْ مَكَّةَ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ، إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فُتِرْتُمْ بِهِ حَتَّى حِينٍ ، قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كُنْتُ بَرٌّ ، فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ يَصْطَبِقَ لِقَاءَهُ بِأَخِيهِ وَوَحَيْنَا لَهُمَا جَاءَ الْمُرْكَأَ وَقَالَ الْقَتُولُ فَأَسْلَمَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَنَّمُوا أَنَّهُمْ كُفَرَاءُونَ ، فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أُنْتُ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى لِقَاءِكَ فَقُلِ الْحَمْدُ

١ - سورة المؤمنون آية رقم ٤١ .

٢ - ينظر : المرقآت للشاملي ٣ / ٣٥٢ يتصرف

لَهُ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ، وَقُلْ رَبِّ ارْسَلْنِي مَبْرُكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُرْسَلِينَ ، إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٌ وَإِنْ كُنَّ لَمُبْتَلِينَ ﴿

ولايات تبدأ حينها عن نوح بالصم من الله بأن الله أرسله إلى قومه يدعوهم إلى عبادة الله وحده الذي لا يشحق العبادة غيره . فدعاهم نوح إلى عبادة الله وتوحيده . لكن أشراط قومه كرهوا أن يدعوهم نوح إلى عبادة الله وتوحيده محتجين بأنه من عامة الناس ويريد أن تكون له السيادة عليهم ، ولو شاء الله كما يدعى نوح أن يرسل رسولا لأكرل ملائكة من السماء رسلا عنه فإن هذا أدعى للإيمان و أدل على الصنق . فما سمعنا بهذا الكلام الذي جاء به نوح في أهلنا الأريين ، الذين ندبوا بإتباعهم ، ونقتدي بهم في عبادتهم لهذه الأصنام ، وما نوح إلا رجل مجنون فانتظروا موته وهو آت بلا شك و مستريحون منه .

فلما صافى سر نوح منهم و من أعمالهم دعا ربه به أن يصوره عليهم بمسبب تكذيبهم به ، و مخربتهم منه ، و بصرارهم على التكفر ، فأجاب الله دعاه فأوحى إليك أن اصنع الفلك بأعيننا و تحت رعايتنا و حفظنا ، و سترمك إليك و حب ليرشدك إلى ما أنت في حاجة إليه من إتيان صبح الفلك

فإذا جاء أمرنا و فار للشور ورد الماء فأدخل في الفلك من كل حيوان زوجين اثنين ذكر و أنثى ليبنى الفلك في الدنيا و أحمل فيها أهلك الذين آمنوا فقط نك من سبق القول عليهم بأنهم لا يؤمنون فلا تحميمهم ، و لا تضطربي يا نوح في شأن هؤلاء الكافرين فإنهم مخرقون لا محالة .

فإذا استوفيت يا نوح أنت و من معك في الفلك فقل أنت و هم الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين ، و قل عند فترول منه أيضاً رب ارسلني مبركاً و أنت خير المرسلين .

ثم بين الحق سبحانه وتعالى ما اشتملت عليه القصة من حبر و عظام فعال
إن في هذه القصة آيات واصبحت لكل علي قدرتنا و وحدانيتنا وعلي تمام حكمت
و عدلنا ، فبكتي الناس بالنعم والنعيم ، وبالفخر والفخر ، وبالفقر والفقر ، وبالحزن
و ذلهم من هلك عن بيته ويحيى من حي عن بيته (١) .

تلك هي قصة نوح كما وردت في السورة الكريمة ، وهي من القصص
الطوال التي تحدثت عن نبي الله نوح **عليه السلام** بعد القصة الطويلة للوردة عة في
سورتي هود ونوح عليهما السلام .

و قد ذكرت القصة عدل نوحا أرسله الله إلى قومه ليدعوهم إلى عبادة الله
وحده لا شريك له فامتنع للملأ عن قبول الرسالة محتجين بأن الله له ملائكة
صالحين لإبلاغ ما يريد الله إبلاغه إلى الناس ، وليس للبشر أمثال نوح أهل
لإبلاغ هذه الرسالة ، فأمر الله نوحا بصنع سفينة ليركب هو والمؤمنون معه
ونشأ من كل جنس من أجساد الطير وغيره من أهل الأرض وذلك إن رأى
الماء يهول من التور ففعل الله فلكالين من قومه و أنجاه هو ومن آمن
معه .

وبالطبع لم يكن هذا العرض ولوردا في سورة المؤمنين وحدها إنما وردت
في سور أخرى كالأعراف وهود ولكن سرعان ما يظهر عدم التشبه وعدم
التكرار في العرض للقصة بعد قراءة الآية الأولى للقصة في كل سورة .

فمثلا في سورة المؤمنين يأمر الله نوحا **عليه السلام** أن يصنع سفينة ويركب
فيها هو ومن آمن معه عندما يرى الماء يهول من التور ، ولم تذكر السورة

١ - ينظر : التفسير الوسيط ١٠ / ٤٤ وما بعدها بتصرف واختصار

استئصال الرسول لأمر ربه كما ذكرنا سورة هود التي حكمت أحداث أكثر فشكرت
أن الرسول فعل ما أمره به ربه وكان من أمر المستبينة ما كان .

وأيسا في سورة المؤمنون بعض التشبيه التي أثارها الملأ من قوم نوح
لرفضهم دعوته ، ولم تذكر السورة هنا أن نوحا قام بالرد على هذه التشبيه كما
حدث في سورتي هود والأعراف .

ونلاحظ :- في السورة الكريمة وصف الملأ نوحا بالجنون ولم يرد
بذلك الوصف في السورة الأخرى .

ونلاحظ في السورة الكريمة أرشد الله نوحا عليه السلام إلى ما يقوله عند
ركوب السفينة وعند النزول منها ولم يرد ذلك القوم في السور الأخرى .

هذا فضلا عن الألفاظ المختلفة والأساليب المتنوعة التي سبقت بها القصة
هنا وسوف نريد هذا الأمر ليصاحبا في فصل قادم عقدها لهذا العرض .

والقصة الكريمة قد ناسبت السياق الذي وردت فيه و تلاصقت مع إطار
العام للسورة الكريمة ويوضح ذلك الاستناد عبد الكريم الخطيب فيقول رحمه الله
(كان ذكر نعمة الفلك في الآية السابقة في قوله تعالى : ﴿ وَهَبْنَا الْفُلَّكَ
تُحْمَلُونَ ﴾ ^(١) مسببة هوية تكرر بقصة نوح وبالسفينة فتنى جعلها الله مركب نجاه
لهؤلاء آمن معه ، وأن هذه السفينة لم تكن إلا نعمة من نعم الله ، نجا عليها من
أمر بهي ، وكذلك كل نعمة من نعم الله الكثيرة فتنى في أيدي الناس هي فلك نجاه
يسلك به لإيمان طوبى إلى الله و يستدل بها على قدرته وحكمته فهو من بها و
ينبغي مرضاته ، وبهذا ينجو من سخطه وعذابه لواقع بالظالمين المكذبين) ^(٢) .

١- سورة المؤمنون آية رقم ٢٢ .

٢- ينظر : لتفسير القرآني للقرآن ٥ / ١١٢٨ .

ومما سبق يتبين لك أن القصة في السورة الكريمة قد منسبت مباح للسورة التي وردت فيها و تلاصقت مع الإطار لعدم لها . ولا يوجد فيها تكرار لم تذكر في السورة السابقة وخاصة سورتي هود والأعراف إلا هي للظاهر فقط .

السورة السادسة - سورة الشعراء : وهي السورة السادسة والعشرون في ترتيب المصحف .

والسورة الكريمة شأنها شأن غيرها من السور المكية تهتم بإقامة الأدلة على وحدانية الله ، وعلى أن للبعث حق ، وعلى صدق النبي ﷺ فيما يبليغه عن ربه ، وعلى أن هذا القرآن من عند الله .

وقد سلكت السورة الكريمة قصصاً لبعض الأنبياء والمرسلين تسلية وتعزية لبب تكذيب الكافرين له ولرسولته إلى ما يجب فعله نحو عشرته ونحو المؤمنين بعد أن تحدثت في مطلعها عن سمو منزلة القرآن وعن موقف المؤمن من الرموز ﷺ .

والسورة الكريمة : جاءت تخلف عن النبي ﷺ الأمم الناس عن تكذيب الكفار " لعلك باحع نفسك ألا يكونوا مؤمنين " مع تهديدهم بإنزال العذاب من السماء فقد كتبوا فسيأتهم أنباء من سبقهم من الأمم ليكونوا حيرة وعظة لهم ، فلويسوا حيرة منهم ، ولا أقوى ولا أكرم عند الله وليس في يدهم وثيقة يمسكون بها حتى لا يصيبهم ما أصاب غيرهم .

وقد بدأت القصة في السورة الكريمة من الآية الخامسة بعد المائة إلى نهاية الآية الثانية والعشرين بعد المائة ونحوها يقول الله تعالى :

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطُغْيَانِكُمْ ثَوَارَ الْمُجْرِمِينَ ، إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ، إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرِي ، وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا

على رب العالمين ، فانتقوا الله وأطيعوا ، قالوا لنؤمن لك واتبعك المذنبون .
 قال يوم علمي بما كنتم تعملون ، إن حسابهم إلا على ربي لو تشعروا . وما
 أنا بطارده المومنين ، إن أنا إلا نذير مبين ، قتلوا نوحاً ثم تلتوا يا نوح أنتكوت
 من المرجومين ، قال رب إن قومي كذبون ، فافتح بيني وبينهم فتحة وتجنبي
 ومن متي من المؤمنين ، فتجيبه ومن معه في الفلك للمشتكون ، ثم أغرقنا
 بغد النبالين ، إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين ، وإن ربك لهو العزيز
 الرحيم ﴿

الآيات تبدأ حديثها عن نوح **عليه السلام** بما يدل على أن قومه قد كذبوه بغير
 دعاهم إلى عبادة الله وتوحيده ، وأن التكذيب برسول هو تكذيب بالرسول أجمعين
 ولقد بين لهم أنه معروف لديهم فهو لهم يعرفون عنه من شرف النسب وكرم
 الخلق وصدق الحديث ما يعرفون وما دام لأمر كذلك فليتقوا الله وليطيعوه كما
 أمرهم فهو لا يطلب على دعوته مالا ولا جاهاً فإن أمره صلى الله عليه وسلم سبحانه
 وليطيعوه **عليه السلام** .

فكان رد القوم عليه يا نوح لنؤمن بك ولقد اتبعك فقراء الناس وأصحاب
 الحرف والديعة فيما ؟

فرد عليهم نوح **عليه السلام** قائلًا لهم أنا لم أكلف بالعلم بأعمالهم وأصحابهم
 ولما أعلمت بدعوتهم للإيمان برب العالمين فاستجابوا لي ، وما أنا بطارد
 للمؤمنين مهما كانوا طلبة من فقراء وصعب لم أنا إلا نذير مبين . فكم يرضى
 قومه بهذا الكلام فقلوا له أنت لم تلتك يا نوح عن مجادلتك لنا ومن دعوتك إيانا
 إلى ترك عبادة الأصنام لتكون من المرجومين بالحجارة المقتولين شر قتله

فلما ينس نوح من إيمان قومه تصرع إلى ربه فقل رب إن قومي كذبون
 فأحكم بقدرتك العدة بيني وبينهم حكماً من عندك تتجي به أهل الحق . وتمحق

أهل الباطل . فاستجاب الله لدعاءه و حقق رجاءه فأنجاه هو ومن آمن معه في الفلك المعلق بهم و بكل ما يحتاجون إليه من وسائل المعيشة وفي تلك أية كبرى تدل على وحدانيته و قدرته و ما كان أكثرهم مؤمنين و إن ربك لهو العزيز الرحيم فاعبروا يا أولي الأبصار (١) .

تلك هي قصة نوح كما وردت في السورة الكريمة وقد ناستهت السياق الذي وردت فيه بقول الأستاذ عبد الكريم الحليبي رحمه الله (وعلى نهج لقرآن الكريم في تنويع المعارض و الانتقال بالناس من مشاهد الحياة الدنيا إلى مشاهد القيامة . ثم العودة بهم إلى حيث هم في حياتهم للدنيا ، وما هم فيه من غفلة ، حيث تعرض عليهم الآيات و النذر ليكون لهم فيها عبرة و مرجع ، على هذا النهج جاءت قصة نوح وما بعدها من قصص الأنبياء مع ألوهم ليرى هؤلاء المشتركون من أهل مكة ، بعد أن عادوا لئوهم من مشاهد القيامة ، و يلقى فيها أهل الضلال من عذاب و نكال لعل في هذا ما يفتح لهم طريقاً إلى الهدى و الإيمان . وفي قصة نوح صورة واضحة على نحو مماثل تمام بما يجري بين النبي وقومه) (٢)

وقد تناولت السورة قصة نوح وغيره من الأنبياء ، مثل هود ، وصالح ، ونوط ، وشعيب ، بداية وحدة لا يتغير فيها إلا أسم الرسون ، فالسورة تقول في قصة نوح " كنيت قوم نوح المرسلين إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تفقون إني لكم رسول أمين فأتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إني أجري إلا على رب العالمين "

١ - ينظر التفسير الموطأ ١٠ / ٢٦٢ و ما بعدها بتصرف و اختصار

٢ - ينظر التفسير للقرآني للقرآن ٥ / ١٤٢ .

ومثل ذلك يأتي في التنظيم للقصاص التالي لقصة نوح لنقول للسورة في كلمة المرسلين واحدة ولتكون النهاية واحدة . وفي كل لكل رسول مع قومه موقف ربما يختلف في بعض التفاصيل عن سواه إلا في التكذيب عاقبته في كل رسالة لا يختلف .

وكما تناولت السورة قصة نوح و غيره من الأنبياء بدينية واحدة ختمت بهبة كل قصة بدينية واحدة أيضاً قال تعالى : " إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين و إن ربك لهُو العزيز الرحيم"

كل الأنبياء يقول اتخذ يا رسول الله من إخوانك السابقين عبراً و ليتخذ قومك مثلاً ، هل تكون بدءاً من الرسل و لن تكون أمثلة بدءاً من الأمم .

هذا وقد انتهكت قصة نوح في سورة الشعراء على ما انتهكت عليه سورة هود من تعبير لقوم رسولهم بأن الذين اتبعوه لراذل القوم و لكن يأتي هذا ما لم يأت في سورة هود ولا في غيرها من السور نوح القوم لنبيهم بالقتل إذا لم يتوقف عن تلك الدعوة ، فيشكروا الرسول إلى ربه نوح قومه له فتكون النهاية .

ومما سبق ذكره يتبين لنا أن قصة نوح هي السورة الكريمة قد دسبت السياق الذي وردت فيه و تلاصقت مع لإطار قمام للسورة الكريمة و لا يوجد فيما ذكر فيها تكرار لما ذكر في قصور السابقة .

السورة القصيدة : سورة العنكبوت : و هي السورة التاسعة و العشرون في ترتيب المصحف .

والسورة الكريمة شأنها شأن غيرها من قصور المكية حدثتنا عن الإيمان وتكاليفه و عن من الله في خلقه ، و عن قصص بعض الأنبياء مع آله لهم و عن هوان للشرك و الشركاء ، و عما يعين المؤمن على طاعة الله و عن علاقة

للمؤمنين بخيرهم ، وعن البراهين المباشرة للباطلة بأن هذا القرآن من عند الله .
وأن المؤمن لا يلقى به أن يقيم في مكان لا يستطيع فيه أن يؤدي شعائره لله .
وعن سوء عاقبة الأشرار ، وحسن عاقبة الأخيار .

وقد بدأت القصة فيها من آية الرابعة عشرة إلى نهاية الآية الخامسة عشرة و فيها يقول الله تعالى :

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ، فَاتَّخِذْنَا مِنْهُمُ امْتَحَانًا وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾

هذه الآيات يبدأ حديثهم عن نوح عليه السلام بالقسم من الله بأنه أرسله إلى قومه ليدعوهم إلى عبادة الله و توحيده ، فلبث فيهم يدعوهم إلى هذا الأمر ألف سنة إلا خمسين عاماً ، ولكنهم كذبوه فأخذهم الطوفان وهم معتمرون على الظلم والكفر ، ثم أنجاه الله هو ومن ركب معه في السفينة ، وجعل هذه الحادثة عبرة وعظة للعالمين ، حيث شاهدوا سوء عاقبة الكفر و الظلم على مر الأيام و الأعولم .

تلك هي قصة نوح مع قومه كما وردت في السورة الكريمة و هي قصة مختصرة في آيتين إلا أنها تعميرت هنا بم يلي :

١ - ذكر المدة التي عاشها نوح بين قومه داعياً إياهم إلى عبادة الله وحده

٢ - أنها سميت بذلك الله للقوم بأنه طوفان .

٣ - أنها سميت لذلك الذي نجى الله به نوحاً و من معه بالسفينة

و قد تأسست القصة للمواق الذي وردت فيه و تلاصقت مع الإطار العام لها

يعوب لأستاذ سعيد حوى (نلاحظ أن بداية الصورة تختبئ عن الامتحان ، ثم سار السبيل فاشعرى أن النصر في النهاية لأهل الإيمان و جاء بعد ذلك قصة دوح الخضر ثريدا مفادار صبر الأنبياء وقوة استمرارهم مع شدة الظروف . وكيف أن العلاقة تكوي لهم ومرأهم ذكرت الأيمان للثبات مرتا بقاء دوح يدعو قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً . مع شدة المقاومة والاستهزاء والامتحان والعنتة ضد الرمن للطويل ، ومع ذلك كنى الصبر وكان مع الصبر النصر)^(١)

و يقول الأستاذ عبد الكريم الخطيب (مناسبة هذه القصة لنا فيها ، هي أنها تعرض في بيجار معجز صورة من صور الصراع بين الحق والباطل ، فتواجه بهذه الصورة هذا الصراع القائم بين المؤمنين والمشركين بين النبي والمؤمنين معه و بين المشركين و من يجتمع إليهم

ففي هذه الصورة ، يرى المشركون أنفسهم في قوم دوح الذي طأل مقامه اليهم حتى بلغ ألف سنة إلا خمسين عاماً ، هم يندعهم هذا الرمن للطويل ، الذي وافوا فيه إزاء دعوة الحق ، ولم تلتق طريقهم مع طريقة فكان أن أخذهم الطوفان ، وهم متهوسون بكفرهم يحملون معهم إلى يوم الجراء أب دوح ومن آمن معه بعد أن تجاهم الله ، وكان في نجاحهم أية للعالمين ، ويلاحظ أن قصة دوح تحمل إنذاراً بالهلاك العام للشامل للكافرين جميعاً)^(٢)

ومما سبق يتبين لنا أن القصة في الصورة الكريمة ناسبت الميقا الذي ورثت فيه و تلاصقت مع الإطار للنم للصورة الكريمة و لا يوجد فيما تذكر فيها تكرار لما تذكر في الصور السابقة .

١ - ينظر : الأملس في التفسير ٨ / ٤١٩١ .

٢ - ينظر : التفسير القرآني للقرآن ٥ / ٤١٤ .

(السورة الثامنة: سورة الصافات : وهي السورة السابعة والثلاثون في ترتيب

المصحف .

والسورة الكريمة شأنها شأن غيرها من السور المكية (تهتم بإقامة الألفة على وحدانية الله ، وعلى أن للبعث حق ، وعلى أن الرسول صادق فيما يبلغه عن ربه ، و تهتم أيضاً ، بحكاية أقوال المشركين ومثبهااتهم ثم ترد على تلك الأقوال والشبهات بما يرفعها ويبطالها ، ثم تصوق للوفاً من المحاورات التي تنور بين المشركين فيما بينهم عندهم عندهما يحيط بهم العذاب يوم القيامة ، والوفاً من المحاورات التي تنور بينهم وبين أهل الجنة الذين نجاهم الله تعالى من النار وسعيرها .

ثم تصوق لمادج من قصص الأنبياء مع أقوامهم ، تارة بشيء من التفصيل كما هي قصة إبراهيم مع قومه ، وتارة بشيء من التركيز والإجمال كما هي بقية قصص الأنبياء الذين ورد الحديث عنهم فيها

وتمتاز بمزجها للمعاني والأحداث بأسلوب مؤثر ترى فيه قسراً للفواصل وكثرة المشاهد والمواقف مما يجعل للقارئ لآياتها في شوق إلى ما تصوقه من نتائج (١) .

وبدأت القصة في السورة الكريمة من الآية الخامسة والسبعين إلى نهاية الآية الثمانية والثمانين وفيها يقول الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنحْمَ الْمُجِيبُونَ ، وَتَجَاهَدْنَا وَآهَاتُ مِنَ الْكُرْبِ الْعَظِيمِ ، وَجَعَلْنَا نُوحَهُ هُمَ الْبَاقِينَ ، وَبَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴾

١ ينظر : التفسير الوسيط ١٢ / ٦٤ ، ٦٥ بتصرف .

ولآيات تبين حديثي عن نوح عليه السلام بأنه قسم من الله تعالى بأن يوحى تصرف إليه وطلب منه أن يصوره على القوم للكافرين فاستجاب الله له ونجاه هو ومن آمن معه من الكرم للعظيم الذي حل بعذابه الكافرين ، وجعل ذريته هم الباقين الناجين .

وأبقى عليه في الأمم التي ستأتي من بعده إلى يوم القيمة الذكر الحسن والكلمة الطيبة وهي سلام على نوح في العالمين .

وعد الجزاء الذي جازينا به نوحاً لأنه كان محسباً في أقواله و أفعاله ، وكان من عباد الدين بلغوا درجة الكمال في إيمانهم وإيمانهم ، وقد أجمع عليه أيضاً بأن أعزب أعداء النبي أدبه وأعرضوا عند دعوته فاصبروا يا أولي الأبصار .

تلك هي قصة نوح كما وردت في السورة للكرامة و هي قصة مختصرة في آيات ، وقد سبق في قول الله تعالى خطاباً للكافرين من أمه محمد " ولقد أرسلنا نوحاً بنينا من نبيينا كيف كان طائفة المندرين إلا عبد الله للمخلصين " ثم جاءت قصة نوح بعد ذلك لتكون دليلاً على نجاه أهل الإيمان ، وهناك أهل الكفر والطغيان .

و قد تميزت القصة بـ بأن الله وصف نوحاً عليه السلام بأنه من عباده المؤمنين . وأن ذكره في العالمين سكرام حسناً ، وإيضاً : بأن الله حكم بالبقاء لذرية نوح عليه السلام وبالطبع لم يوجد هذا في السور التي وردت فيها هذه القصة .

يقول الأستاذ سعيد جوي { في المقطع الأول من سورة الصافات ينقسم إلى مجموعتين الأولى للتقرير والثانية للتمثيل وقد جعل الله بين ذلك جسراً فنقل به السياق من التقرير إلى التمثيل وهو قوله تعالى " ولقد صل قبليهم أكثر الأولين

ولقد أرسلنا نوحا منهم مبشرين وناظرا كيف كان عاقبة المنتدبين ولا عباد الله المخلصين
 " ثم بدأ التمثيل بقوله تعالى " ولقد نادانا نوح "

٢ هي التمثيل بقصة نوح عليه السلام في سياق السورة توصيح لدعاة عباد الله
 للمخلصين ، من عذاب الدنيا ، و توصيح لقيمة الإيمان ، و نموذج على إرسال الله
 الرسل للإنذار ، و نموذج على أن هؤلاء الرسل هم الحبل الأملى للأخلاق الربانية
 من إيمان و إيمان .

٣- في قوله تعالى " عن نوح عليه السلام إليه من عبادنا المؤمنين " إشارة إلى
 كون نوح عليه السلام من المؤمنين ، ومن ثم فإن قصة نوح خدمت سياق السورة من
 عدة نواح : أولاً : في موضوع التوحيد : ثانياً : في موضوع بعثة الرسل جميعاً
 بالتوحيد ، ثالثاً : في موضوع إنقاذ الله المؤمنين من العذاب ، رابعاً : في إبراز
 قيمة الإيمان في موازين الله عز وجل (١) .

ومما سبق يتبين لنا أن القصة باسميت السياق الذي وردت فيه و تلاصقت
 مع الإطار العام للسورة و لا يوجد فيما ذكر فيها تكرار لما ذكر في السور
 السابقة .

السورة التاسعة : سورة القمر وهي الرابعة والخمسون في ترتيب
 المصحف .

وفي السورة الكريمة اهتمت بالحديث عن أهوال يوم القيامة ، و نص تعدت
 للمشركين وعتادهم ، و عن سائر الله تعالى في خلقه التي من أبرز مظاهرها نصر
 المؤمنين وخذلان الكافرين .

١ - ينظر الأملس في التفسير ٨ / ٤٧٠٩ و ما بعدها

وقد بدلت القصة في السورة الكريمة من الآية التاسعة إلى نهاية الآية السابعة عشرة ، وفيها يقول الله تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَهُ وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدَجَرُوا ، فَدَعَاهُ رَبُّهُ لَمَّا مَقْبُورٌ فَأَنْصَرَفَ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ، وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُوبًا فَاتْلَقَى الْمَاءُ عَلَى أُنْجٍ قَدْ قَرَّرَ ، وَحَمَلْنَاهُ عَلَى دَاثِ الْوُحُوحِ وَذُئِرَ ، تَجَرَّى بِأَعْيُنِنَا جَزَاءُ لِمَنْ كَانَ كُفِرَ ، وَلَقَدْ نَزَّلْنَاهُ آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ، فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَذُئِرَ ، وَلَقَدْ يَصْرِكُنَا الْفُقَرَاءُ لِلنُّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾

هذه آيات تبدأ حديثها عن نوح عليه السلام بأن قومه كذبوه كما كذب كثير مكة محمدا ، فقد كذب قوم نوح بنبينا تكذيب عقاب تكذيب وهم يكذبوا بذلك بل وصفوه بالجنون وهددوه بالقتل ، فدعا عليهم قائلا - ربي عذبي قومي ولم يسمعو كلامي ، واستحكم اليأس من إجابتهم لي ، فانتقم لي منهم بعذاب تبعته عليهم فلاي ضعف من مقاومتهم ، فانتصر أنت لسيئتك فاستجاب الله لدعائه ففتح السماء بماء ينصب على الأرض بقوة وبكثرة وتتابع ، وجعل الأرض كلها كأنها عيون تتفجر ، فاجتمع الماء النازل من السماء مع للماء المتفجر من الأرض على أمر قد قبله الله تعالى وقصاه أزلا وهو علك قوم نوح بالطوفان ، وحملنا نوحا ومن معه من المؤمنين برفية ذات ألواح ودسر من الخشب ومما يبرر برف بها هذا الخشب ويربط السفينة تجري بمرأى من وحيات رعائتك وفكرتك وما فعلنا بك ، لا جزاء لكفر قوم نوح بالله ، ولقد تركنا فعلنا هذه بقوم نوح وإهلاكهم علامة لمن بعدهم وعظة وعبرة لمن يعتبر ويتعظ ، ولأعقب سيئته كذلك بعد إهلاك قومه عبرة لمن يشاهدها ، فكيف كان عذابي ونذر ولقد جعلنا هذا القرآن سهلا للحميد وللتذكر لمن أراد فهل من معبر

تلك هي قصة نوح مع قومه كما وردت في السورة الكريمة وهي قصة مختصرة مبسطة تحذيرا وإنذارا لقوم النبي ﷺ أن يدركهم العذاب إن استمروا على تكذيب رسولهم مثل الذي أدرك قوم نوح .

ولقد ذكر في القصة هنا عدة أمور ثم تذكر من قبل وهي : -

١ - أن قوم نوح اتهموه بالجنون ولم يذكر ذلك صراحة قبل ذلك

٢ - أمثال السماء والأرض لأمر الله في إرسال الماء فيكون من ذلك طوفان هائل لا يمكن بأي حال أن يقاوم وما ذكر في سورة هود فكان أمثال السماء والأرض لأمر الله بعد أن أتم الماء مهمته .

٣ - أن السفينة التي حملت نوحا ومن آمن معه كانت مكونة من لوط ونمر .

والله تميزت هنا أيضا بأمرين :-

أولهما : أن أهل مكة كقوم نوح كل منهم قد كذب رسولا من رسل الله وليس لللاحقة بالفصل من السابقة لأن القصة واحدة تكذيب الأمة لرسولها .

ثانيهما : تيسر الله تعالى للقرآن المتبحرين بهذا القصص ، ليكون ذكرا ونثاة وعبادة ، ويكون القصص الذي فيه آية لمن أراد أن يتعلم إذا سمع سير السابقين .

يقول الأستاذ سعيد حوى رحمه الله (حتم للقصة بقوله تعالى) " ولقد بعثنا للقرآن لندكر فهل من مدكر " بهيئ أن تكذيب القرين كتكذيب رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم . ويستحق المكذبون به ما استحق أولئك من العذاب ، يؤيد هذا

السعي مجيء فربه تعالى ﴿ وَتَقَدَّ جَاءَهُمْ مِنَ ٱلْأَنْبِيَاءِ مَا فِيهِ مُرْسِرٌ ، حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغَيِّ قُلُودُهُ ﴾

فإذ صبح هذا لاجاء من مجيء قوله تعالى * وتقد يسرنا القرآن المذكر هه من مبكر * بعد كل قصة من قصص السابقين في الصورة - ما عدا القصة الأخيرة - ويهد أن تتكروا ولا تكذبوا فيصيبكم ما أصابهم ، والحجة قائمة عليكم ، وقرآن يسر لكم تتكروا به ، فلا تعرضوا عنه ، ولا تكذبوا ، وانظروا بمواضله ، وقلتموا أمره ونهيه

٢- فما قصه الله عز وجل عليك من شأن قوم نوح مودج علي تكذيب الكافرين برسلهم ، ونمودج علي عدم انتفاضهم بالإندال ، ونمودج علي نصره الله رسله ، ونمودج علي عقوبة الله في الدنيا لمن كذب رسله وفي تلك موعظة لأهل الإيمان ، وتسمية لرسول الله ودروس للعالمين جميعاً (١) .

ويذكر الأستاذ عبد الكريم الخطيب في تفسيره مناسبة هذه القصة للسباق الذي وردت فيه فيقول (إلى الآيات السابقة عرضت موقف المشركين من النبي صلوات الله و سلامه عليه وأنها آية وجهوها بالبهت والتكذيب ، وقالوا إنها من واردات السحر ، وقد انتهى هذا العرض بدعوة النبي الكريم أن يدع هؤلاء المعتدين وشأنهم فإنهم في هد هم الخاسرون ، حيث يورثون أنفسهم موارد الهلاك يوم القيامة الذي يكتبون به) وفي هذه الآيات عرض لأحوال جماعة من المكذبين المعتدين في الأمم السابقة جاءتهم رسل الله بالبينات فيبهتوهم وكتبوهم و تهدوهم بالمساءة والأذى ، فكان أن أخذهم الله بالبلاء في الدنيا والعذاب الأليم في الآخرة .

١- ينظر : الأمان في التفسير ١٠ ، ٥٦٠٩ وما بعدها .

وهي هذا التهديد للمشركين و أنهم سيهلكون في ملكه الذين كذبوا رسل الله من قبهم كقوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وفرعون (١) .

ومما سبق يتبين لنا أن القصة بسيت العتيق الذي وردت فيه و تلاصقت مع الإطار العام للسورة الكريمة ولا يوجد فيما ذكر فيها تكرار لما ذكر في السور السابقة .

السورة العاشرة : سورة نوح **تَكَوْنُ** . وهي السورة الحادية و السبعون في ترتيبه المصحف .

بوجه السورة الكريمة من أولها إلى آخرها تنص علينا قصة نوح مع قومه ، ونصف تجربة من تجارب الدعوة في الأرض ، ونمثل نورة من نورات العلاج الدائم الثابت للمنكر للشرية ، وضوابط من أشواط للمعركة للخالدة بين الخير والشر ، والهدى والصلال ، والحق والباطل .

هذه التجربة تكشف عن صورة من صور قبحية العنيدة ، الضلالة الداهية وراء القيادات المضللة ، المستكبرة عن الحق للمعرضة عن دلائل الهدى وموجبات الإيمان ، المعروضة أمامها في الأنفس والأقاني ، المرموقة في كتاب الفكر المعنوح ، وكتاب للنفس المكنون .

وهي في الوقت ذاته تكشف عن صورة من صور الرحمة الإلهية تتجلى في رعاية الله لهذا الكائن الإنساني ، وعنايته بأن يهتدي ، تتجلى هذه العناية في إرسال قرسل تنري إلي هذه قبحية العودة الضلالة قدسية وراء القيادات المضللة المستكبرة عن الحق والهدى .

١- ينظر : لتفسير القرآني للقرآن ٧ / ٦٤٢ .

ثم هي بعد هذا وذلك تعرض صورة من صور الجهد القميصي . والعداء
 للمعروف وللصبر الجميل . وإصرار الكريم من جانب الرميل . صلوات الله
 عليهم لنهاية هذه البشرية الصالحة العنيدة للعصية الجامعة

وهم لا مصلحة لهم في القضية ولا أجر يتقصونه من المهنتين على
 للهدية ولا مكافأة ولا جعن يحصلونه على حصول الإيمان

ومن خلال عرض هذه الحلقة من حلقات الدعوة الإلهية على البشرية
 نجسي حقيقة وحدة العمل ونبات أصولها . وتأصل جنودها كما يتجس برتبها
 بالكرب وإرادة الله وقدره . وأحدث الحياة الواقعة وفق قدر الله (١)

قال تعالى بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ لَئِنْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ
 قَوْمَكَ مِنْ هَٰؤُلَاءِ أَنْ يَتَّبِعَهُمْ عَذَابَ اللَّهِ ، قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ، لَنْ يَخْلُقَ
 اللَّهُ وَلَهْوَ وَأَصْحَابُكُمْ ، يَغْفِرُ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجُكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ
 اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ، قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْكَ وَتَهَلَّى ،
 فَلَمْ يردَّهُمْ ذَعَلَى إِلَّا فَرَارًا ، وَإِنِّي خَلَّمَا دَعْوَتَهُمْ لَنُفَّخَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابَهُمْ فِي
 أَذُنِهِمْ وَلَسْتُمْ أَتَىٰ لِي بِهِمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتَكْبَارًا ، ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا ،
 ثُمَّ إِنِّي أَعْتَمْتُ لَهُمْ وَأَسْرًا ، ثُمَّ إِسْرَارًا ، فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفِيرًا ،
 بِرَمِلِ السَّمَاءِ عَلَيْكُمْ مَطَرٌ ، وَيُؤْتِيكُمْ بِأَمْوَالٍ يَنْبَغِي وَيَجْعَلُ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلُ
 لَكُمْ أَنْهَارًا ، مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ، وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَثَرًا ، لَمْ تَرَوْا كَيْفَ
 خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ، وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ،
 وَلِلَّهِ كُنُوتُكُمْ مِنْ الْأَرْضِ نَبَاتًا ، ثُمَّ يُعَذِّبُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ، وَلِلَّهِ جَعَلَ
 لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ، فَاسْتَكْبَرُوا مِنْهَا مَنِيلاً فَجَاجًا ، قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي
 وَاتَّبَعُوا مِنْ لَمْ يردُّهُ مَالًا وَكَذَٰه إِكْ خَسَارًا ، وَمَكْرُوا مَكْرًا كَبِيرًا ، وَقَالُوا لَا

١ - ينظر : الضلال ٣٧٠٦/٦ يتصرف .

تَلَرْنُ أَهْلَكُمْ وَمَا تَلَرْنُ وَدَا وَمَا مَوَاعَا وَلَا يَفُوتَ وَيُغَوِّي وَيَسْمُرَا ، وَقَدْ لُصُّوَا
كَثِيرَا وَمَا تَلَرْدُ الظَّالِمِينَ إِنَّا ضَلَّلَا ، مِمَّا خَطَبَاتِهِمْ أَخْرِقُوا فَالْخُلُوعَا سِرَا فَلَمَّ يَجْدُوا
لَهُمْ مِّنْ ذَوْبٍ لِلَّهِ لَقَصْنَا ، وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّا تَدْرَ عَلَى الْكَافِرِينَ
نَهَارَا ، إِنَّكَ إِن تَنَزَّهْهُمْ يُصَلُّوَا صَبَّحَكَ وَمَا يَكُونُوا إِنَّا لَهَجْرَا كَفَرَا ، رَبِّ إِنَّا لَنُفَرِّقُ
وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَمَا تَلَرْدُ الظَّالِمِينَ إِنَّا
تَهَارَا ﴿

فالسورة الكريمة تبدأ حديثها عن نوح عليه السلام بأن الله أرسله إلى قومه
ليحذرهم عاقبة الكفر بالله ، و يندبرهم بأن الله قبل حلوله بهم ، فحين نوح رسالة
ربه إلى قومه و خاطبهم قائلا لهم :

يا أهلي وعشيرتي إليكم رسول أمين وندبر مبين ، أمركم أن تخلصوا لله
العبادة ، وأن تتقوه في كل أحوالكم وأفعالكم ، وأن تصيغوني في كل ما أمركم به
وأنهتكم عنه ، فإنكم من فعلتم ذلك ظفر الله لكم بعض دنوبكم فلي تقترفتموها قبل
إيمانكم ، ولأمد في أعماركم إلى وقت معين عنده ، فإن الوقت قلدي حنده الله -
عز وجل - لانتهاه أعماركم لا يوزح من مواعده ، لو كنتم تعلمون فأفسر القوم
على كفرهم وعنادهم لديهم ، فتوجه نوح إلى ربه قائلا : رب إلي دعوت لومي
إلى عبادة وتوحيديك ليلاً ونهاراً ، فلم لو منهم إلا عداً واستكبراً ، وكما
دعوتهم إلى الإيمان بك لتضر لهم ، سوا مسامهم لئلا يسمعو كلامي ، وتضطوا
بثوابهم لئلا يبصروني ، واستمروا على ما هم فيه من الشرك و الكفر العظيم
لفظيهم واستكبروا استكبراً .

ومع عداوتهم و استكبارهم فإلي لم أمتنع عن دعوتهم فقد دعوتهم جهاراً
وسراً ، قلت لهم : استغفروا ربكم ، توبوا إليه ، إنه يقبل التوبة عن عباده ،
ويصرف عن السيئات إنه كان كثير المعرف لاس من تاب إليه وأتاب ، فإنكم إن فعلتم

ذلك ، أرسل عبيكم بعصاه و . حمده الأمطار للحريز ، التي تنفعون بها في مختلف شئوئ حيلكم . وأمدكم بـأموال الناقصة ، والخربة الصالحة وجعل لكم الجباب والبهائم ، يجري فيها الحيور و الأثير

وقلت لهم لوصياً : ما لكم لا تخشون الله و قدرته على كل شيء ؟ وما لكم لا تهربون سطوته فتؤسوا به وتصدقوا برسله ؟ وهو لقادر على كل شيء ، فهو الذي خلقكم في أطوار مختلفة وفي أحوال نكاد تكون متباينة ، وهو الذي خلق السموات السبع متطبقة بعضها فوق بعض ، وجعل في إهداه نوراً . وجعل الشمس في لغرى سراجاً و هاجئاً .

وهو الذي أوجد و نشأ أبائكم أمم من الأرض إنشاء ، وجعلكم فروعا عنه . ثم بعثكم إلى هذه الأرض بعد موتكم لتكون قبوراً لكم ، ثم يخرجكم منها البعث وقصاب و الجراء .

وهو الذي جعل لكم الأرض ممهدة للعيش ، ميسرة سهلة للانتقال ، لتتبعوا منها لأنفسكم طرقاً توصلكم إلى أراضكم ، وعلى الرغم من هذه الطرق المختلفة في الدعوة ، وتلك للبراهين الواضحة نبذ قوم دعوته ، وعصوه وخالفوه وكذبوه ، فأتجه إلى ربه يشكو عصيان قومه ، مبيناً سبب هذه العصيان فقال : رب إني قومي قد عصوني و خالفوا أمري ، واتبعوا رؤسائهم الذين حصلوهم على الكفر وأشدوا عليهم به ، لأنهم أصبحوا ملأ ولولاد فغثروا بهم ، ولئى هؤلاء الرؤساء قد مكروا بي وبأتباعي مكراً عظيماً ، فقد سولوا لهم قتلى وإنزال الأذى بي ، وسولوا لهم على الحق وأنا ومن معي على البطل ، ولستك أمروهم بالعكوف على عبادة الأصنام وترك عبادة الواحد للقيار ، وقد أضلوا بمكرهم هذا خلقاً كثيراً فلا تردهم يا رب إلا ضلالاً

ويا رب لا تترك على الأرض من هؤلاء الكافرين شخصاً واحداً منهم
يسكن داراً أو يدور ويتحرك فهي لأفك من تتركهم بدون إهلاك يصيرون عيانك عن
كل حير ، وهم فوق ذلك أن يلدو إلا من هو مثلهم في الفجور والكفران

ويا رب أسألك أن تغفر لي بنوبي وأن تغفر لوالدي أيضاً واشغف يا إلهي
أيضاً لكل من دخل بيتي وهو متصف بصفة الإيمان واشغف للمؤمنين والمؤمنات
من كل أمة وفي كل زمن .

ولا تزد الظالمين إلا هلكاً وخساراً ودمراً ، فاستجاب الله لدعاء نوح
عليه السلام وحقق رجاءه فأغرق الكافرين بالطلوف فسلطوا ، فأدخلوا داراً يأخذوا عذاب
الآخرة بعد عذاب الدنيا ، ومع هذا كله لم يحنوا لهم أحداً ينفع عنهم شيئاً من هذا
العذاب الأليم وذلك بسبب خطاياهم التي أعظمها الكفر و إيداء نوح عليه السلام وقد
أنجى الله المؤمنين بسبب إيمانهم (١) .

ذلك هي قصة نوح عليه السلام كما وردت في السورة المسمية باسمه .
فصب الله على كفار مكة ، وعلى جميع الناس ، ليعتبروا و لينتظروا .

(فهي مثال حي ينطق بفساد الصرع بين الحق والباطل في كل زمان و
مكان ، و ينطق بأن فساد العقليّة البشريّة ليس من أصل الطبيعة وإنما هو من
خدايع المستكبرين الماكريين ، و ينطق بأن الحق مهما طال ركوده لا يد أن يعلو
سيوته و ينتشر في العالم صوره ، وبعم الكون خبره) (٢) .

وقد تميزت القصة في هذه السورة بما يلي :

١ ينظر : التوميط في تفسير القرآن ١٥ / ١١٠ و ما بعدها بتصريف و
اختصار

٢- ينظر إلى القرآن الكريم الشيخ ثلاثون ص ١٥٥ .

١- يبين في دوحا الطيبة مع بكى ليتوقف عن تبليغ الدعوة من قبل او
لنهار ، في السر ، وفي العلن

٢- يبين ما في دعوته من خير روحي و مادي يعود على من آمن بها
وقد أرشدت الآيات أن من آمن بدعوة دوح الطيبة ينفع بها في روح ثلاث .
داخلية للروح . تمحو عنه ما كفره من ذنوب و خطايا " يضر لكم من
ذنوبكم

داخلية الأجل . حين يستوفي أجله الطبيعي دون أن يعاجله العذاب المقدر
عليه إذ استمر في التكبر و المعاصي و يؤخركم إلى أجل مسمى

داخلية للروح . حين يفتح له أبوابه " يرسل السماء عليكم مدرراً و يمددكم
بأموال و بنين و يجعل لكم جنات و يجعل لكم أنهاراً "

٣- بيان كيفية عند قوم دوح له ، و عراضهم عن دعوته ' و إلى كلما
دعوتهم لتغير لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا
استكباراً "

٤- بيان دعوتهم إلى الإيمان بالله عن طريق التأمل في نعم الله عليهم في
الأنفس و الأهل

﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ، وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ، أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ
الثَّلْجَ سِنِينَ سَبَاعَاتٍ ظِلَاقًا ، وَجَعَلَ اللَّيْلُ فُيُوهً نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ، وَاللَّهُ
أَنبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ، ثُمَّ يُعَذِّبُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ بِحَرْبٍ ، وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ
الْأَرْضَ مَسَاقًا ، فَتَسْكُنُوا مِنْهَا سَبْعًا شَجَاجًا ﴾

٥- يبين ذكر أسماء الآلهة التي عيدهم قوم نوح من دور الله * وقالوا لا تدرى ألهتكم ولا تدرى رب، ولا سوتنا ولا يعوث و يعوق و تمرأ *

٦- يبين الحكمة من إهلاك الكافرين من قوم نوح " إنك إن تدرهم يصلوا صلاتك و لا يأتوا إلا فاجرا كفرا "

٧- يبين أن نوحا القليل من ربه للمنفرة له و لأهل الإيمان من أمته * رب اغفر لي و لوالدي و لمن دخل بيتي مؤمنا و للمؤمنين و للمؤمنات *

٨- يبين العقوبة السوية التي صدر إليها لقوم جرء إغراضهم عن سماع الحق (١) .

وهذه العقوبة وإن كانت ذكرت في أكثر من سورة (لا أن هذه السورة الكريمة جاء فيها ريادة على ما سبق للهدف بالسر .

* مما خطبتاتهم أخرجوا فادخلوا نارا فلم يجدوا لهم من دور الله أنصرا *

وبهذا يكون ما ذكر في هذه السورة عن نوح القليل ليس فيه تكرار لما ذكر سابقا .

سورتان

وبعد عرض قصة نوح القليل كما ذكرت في سور القرآن الكريم . بقي لي في عرض القصة سورتان :

الأولى : سورة يس : وهي السورة السادسة والثلاثون في ترتيب المصحف

١ ينظر : إلى القرآن الكريم فشيخ شلتوت ص ١٥٣ و ما بعدها بتصريف .

وهو يسره إلى قصة نوح عليه السلام في الآية الحادية و الأربعين منها ، فيب
يعون الحق تبارك وتعالى و آية بهم أن حملاً ذريتهم في الفلك المشحون

وملك بناء على أن المراد بالذرية في الآية الأصول - الأبناء - وللفلك
المشحون هو سفينة نوح عليه السلام .

لما إن أريد بالذرية العروج الأبناء - وللفلك المشحون جنس السفن
فالآية لا علاقة لها بقصته عليه السلام .

يقول د / محمد سيد طنطاوي (و المفسرين في تفسير هذه الآية قولاً

الأول : أن الصمير في " بهم " يعود إلى أهل مكة ، و المراد بذريتهم
أولادهم صغارا و كبارا و المراد بالفلك المشحون جنس السفن .

فيكون المعنى : ومن للعلامات الدالة على وحدانيتنا وقدرتنا ، أن حملنا
بفصلنا ورحمتنا أولادهم صغارا وكبارا في السفن المملوءة بما ينفعهم دون أن
يصيبهم لذي وسخر لهم هذه السفن لينتقلوا فيها من مكان إلى آخر .

الثاني إلى الصمير في " بهم " يعود إلى فئاس عامة ، والمراد بذريتهم
أبنائهم الأقدمين والمراد بالفلك المشحون سفينة نوح عليه السلام التي أنجاه الله تعالى
فيها من معه من المؤمنين الذين لم يبق على وجه الأرض من ذرية آدم غيرهم

فيكون المعنى : وعلاوة و دليل و نصيح لفئاس جميعاً على قدرتنا ، أننا
حملنا ورحمتنا أبناءهم الأقدمين الذين آمنوا بدوح عليه السلام في السفينة التي
لمرأه بصنعها والتي كانت مائة ومشحونة ، بما ينفعون به في حياتهم (^١) .

١ ينظر : التفسير الوسيط ١٢ / ٣٥ بتصرف ، و التفسير للعنبر ٢٣ / ١٨

وبالإمام الرازي رحمه الله كلام طيب في تفسير الآية فيقول رحمه الله

{ قال المعسرون الذرية هم أباء أي حملنا آبائكم هي الفلك . وهذا قول بعضهم .

وأما الأكثر فحطى أن الذرية لا تطلق إلا على الولد وعلى هذا فلا بد من بيان المعنى فيقول الفلك إما أن يكون المراد الفلك المحيى الذي كان للنوح ، وإما أن يكون الجنس كما قال تعالى { وجعل نكم من الفلك وأنعام ما تركبون }^(١) قال تعالى { وتري الفلك فيه مواخر }^(٢) وقال تعالى { فهدوا ركبوا في الفلك }^(٣) . إلى غير ذلك من استعمال لام التعريف هي الفلك لبيان الجنس .

فإن كان المراد حملنا أولادكم إلى يوم القيامة في ذلك الفلك و لولا ذلك لما بقي للأدعي نسل ولا عقب وعلى هذا فقوله " حملنا ذريتهم " بذل قوله حملناهم إشارة إلى كمال النعمة أي لم تكن النعمة مقتصرة عليكم بل متعديّة إلى أحبابكم إلى يوم القيامة هذا ما قاله القرطبي

ويحتمل عندي . أن يقال على هذا أنه تعالى لما خص الذرية بالذكر ، لأن للموجودين كانوا كفراً لا فائدة في وجودهم فقال " حملنا ذريتهم " أي لم يكن لحمل حملهم و إنما كان حملهم في أصلابهم من المؤمنين .

١- سورة الفرقان آية رقم ١٢ .

٢- سورة فاطر آية رقم ١٢ .

٣- سورة النكبات آية رقم ٦٥ .

الثاني : هو أن المراد بالذرية الجنس ، معناه حملت أجناسهم وذلك لأن ولد الحيوان من جسده وبوعه والذرية تطلق على الجنس ولهذا يصدق على النساء ذراوي .

الثالث : هو أن الضمير في قوله " وآية لهم " عائد على العباد حيث قال " يا حسرة على العباد " وقال بعد ذلك " وآية لهم الأرض " (٢) وقال " وآية لهم الليل " (٣) وقال " وآية لهم لنا حملنا ذريتهم " (٤)

إذ عدم هذه فكانه تعالى قال و آية للعباد أب حملنا ذريات العباد و لا يلزم أن يكون المراد بالضمير في الموضعين أشخاصاً معينين .

كما قال تعالى " ولا تقتلوا أنفسكم " (٥) . ويريد بعضكم بعضاً أي آية لكل بعض منهم أن حملنا ذرية كل بعض منهم أو ذرية بعض منهم .

وأما إذا قلنا إن المراد جنس الفلك فهو أظهر لأن سفينة نوح لم تكن بحضرتهم و لم يحملوا من حمل فيها فأما جنس الفلك فإنه ظاهر لكل أحد و قوله تعالى في سفينة نوح " وجعلنا آية للعالمين " (٦) . أي بوجود جنسها ومثلها ويؤيده قوله تعالى " ألم تر أن الفلك تجري في البحر بنعمة الله لفرىكم من آياته إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور " (٧) .

- ١- سورة يس آية رقم ٣٠ .
- ٢- سورة يس آية رقم ٣٣ .
- ٣- سورة يس آية رقم ٣٧ .
- ٤- سورة يس آية رقم ٤١ .
- ٥- سورة النساء آية رقم ٢٩ .
- ٦- سورة العنكبوت آية رقم ١٥ .
- ٧- سورة لقمان آية رقم ٣١ .

- فتقول : قوله تعالى " جمعت ذريتهم " أي ذريته الحياة ، ولم يقل حملتهم لأن مكور الأرض عام لكل أحد يسكنها فقال : « وَأَيُّةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ » إلى أن قال " منه يأكلون " لأن لأكل عم ، وأم الحمل في السفينة فمن قدس من لا يركبها في عمره ولا يحمل فيها و لكن ذرية العباد لا بد لهم من ذلك فلي عبهم من يحتاج إليها فحمل فيها (١) .

فسورة الثانية : سورة الحاقة و هي السورة التاسعة و الممتون في ترتيب المصحف .

وفيهما يشير الحق سبحانه و تعالى إلى قصة نوح عليه السلام من جانب الامتنان على البشر بحمل أصولهم في سفينة نوح عليه السلام عندما عم الهلاك الأرض بمن فيها و ما فيها بقول الله تعالى في الآية الحادية عشرة والثانية عشرة (إذا لما طغى الماء حملناكم في الجارية لنجعلنا لكم تكرة ونعينا لمن راعية)

والذين الكرمات يتحدثان عن جانب من نعم الله على عباده - وهي كثرة - وخاصة المشركون من أهل مكة بأنه لما تهاوى الماء هذه وارتفع و جاء الطوفان في زمن نوح عليه السلام حمل آباءهم المؤمنين وهم في أصلابهم في السفينة التي تجري في الماء لينجوا من العرق ، ولجعل نجاه المؤمنين وإغراق الكافرين عبرة وعظة يستدلون بها على عظيم قدرة الله وبديع سمعه وقدرته انتقامه واتعيا وتحميها بعد سماعها أن حافظا لما سمعت

قال الأستاذ عبد الكريم الخطيب في تفسيره (قوله تعالى " إذا لما طغى الماء حملناكم في الجارية " مناسبة هذه الآية لما قبلها : هي في الآيات السابقة ذكرت مصارع القوم الظالمين وقطع دابرهم جميعا بحيث لم يترك الخراب من

١- ينظر تفسير الرازي ١٣ / ٦٩ و ما بعدها بكسر

دار لا يبر ، ومع هذه عين هؤلاء المشركين من قريب ، وما رآه أحياء
بحشوب في الناس لم يأخذهم الله سبحانه بما أئذ به الظالمين من قبل ، هؤلاء
المشركون هم بقية من ذرية القوم الذين سجدوا لله ، وهم الذين آمنوا بالله
من بين المكذبين والصابئين . وإنه تجدير هؤلاء المشركين أن يأخذوا طريق
النجاة من عذاب الله كما أخذ آباؤهم الأولون من المؤمنين الذين نجوا من عذاب
الله .

هـ وإذ كانت الآية تشير من قريب إلى أنظر صورة من صور مجاز
المؤمنين وهلاك الكافرين وهو ما كان من نوح وقومه وسعيتهم وملوغلته حين
غرق الكافرين في الطوفان ، وجد نوح ومن معه من المؤمنين بالسعة ، إذا
كانت الآية تشير من قريب إلى هذه فإنها تشير من بعيد إلى نجاة الذين آمنوا بالله
من كل بلاء سأل الله إلى الكافرين المكذبين لرأس الله في كل زمان ومكان

والله تعالى ﴿ نَلْجِئُهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيهَا أُذُنٌ وَّاعِيَةٌ ﴾ أي لنجعل هذه
الإشارة إلى نجاتكم في أصلاص لياكم لأولين الذين آمنوا وسجدوا من الطوفان
نجعل هذه الإشارة تذكركم أيها المشركون تذكرون بها أنكم من أصلاص آ ،
كنوا مؤمنين فكروا مثلهم إذ كنتم حفاً حرسون على التمسك بما كان به
آباؤكم إذ يقولون ﴿ حسبنأ ما وجدك عليه آباءنا ﴾ (١٦) ، فإن في آياتكم مهتتين
وصالين فتخيروا من ترويه أهلاً للإتياع من هؤلاء الآباء ، وهذه التذكرة لا يعيها
ولا تعقلها ولا تحتفظ بها و تحفظها ، لا أن علاقة بينها وبين العقل صلة وثيقة
أم الأئذ الذي لا تسمع ولا تورد ما تسمع على العقل فهي إن حيوانية لا ينال
منها صاحبها خيراً أبداً (١٧) .

١- سورة المائدة آية رقم ٩٠-٩١ .

٢- ينظر : التفسير القرآني للقرآن ٨ / ١١٣٠ .

الفصل الثاني

الأعراض الدينية المستفادة من تكرار اسم نبي الله نوح في القرآن

المتأمل في القرآن الكريم يجد أن الحق سبحانه وتعالى ذكر اسم نبي الله نوح **تعالى** مجرداً من غير ذكر لأخباره وأخبار نومه بالتفصيل في كثير وعشرات مواضع . ثارة يصف الاسم الكريم في شيء قبله، وثارة لا يضاهي وفي كل موضع من هذه المواضع كان الاسم منكوراً لتحقيق غرض ديني لا يوجد في غيره من المواضع الأخرى هذه حقيقة لا مرء فيها .

ومؤكد تظهر هذه الحقيقة بوضوح بعد عرض هذه المواضع ، ونذكر ما يؤيدها من أقوال المفسرين ملتزمين في هذا العرض بترتيب المصحف لا بترتيب النزل .

الموضع الأول : في سورة آل عمران

وهو قوله تعالى " إِنْ اللَّهَ لَصَلَّيْ أَنْمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِيسَى عَلَى الْعَالَمِينَ " (١) .

الغرض : بيان أن نوحاً **تعالى** من الصفوة المختارة من البشر .

وفي هذه الآية الكريمة يذكر الحق تبارك وتعالى اسم نبي الله نوح **تعالى** ليعين لنا أنه من ضمن الذين فضلهم الله على العالمين قال صاحب المنار (لما بين سبحانه وتعالى أن محبته منوطه بإتباع الرسول ، فمن اتبعه كان صادقاً في دعوى حبه لله ، وجدير بأن يكون محبوباً منه جل وعلاه ، أتبع ذلك ذكر من أحبهم واصطفاهم . وجعل منهم المرسل الذين يبينون طريق محبته ، وهي الإيمان

به مع ط عنه ، فقال " يا الله اصطفى آدم و نوحاً وآل إبراهيم وآل عمران عطفى للعالمين " أي احسنهم وجعلهم صفوة للعالمين وجبرهم بحمل النبوة والرسالة فيهم ، فادم نزل البشر ونقده إلى هذه المرتبة ، فإنه بعد ما سف في الأقطار إلى مرتبة للتوبة وإثابة فصطفاه تعالى و اجتناه كما قال في سورة طه " ثم اجتناه ربه فتأب عليه و هدى " (١) .

فكأن هادياً مهتدياً مهدياً ، و كأن في تربته من النبیین و المرسلین من شاء الله تعالى ، وأما نوح الطوفان فقد حدث على هذه تلك الطوفان العظيم ، فانقرض من السلالة البشرية من انقرض و نج هو وأصله في العلك فكان بذلك أبا ثلث نجم المعبر من البشر ، وكان هو نبياً مرسلأ و جاء من تربته كثير من النبیین و المرسلین ، ثم تفرقت تربته و انتشرت ، وفشت فيهم التوبة حتى ظهر فيهم إبراهيم عليه السلام نبياً مرسلأ و خليلاً مصطفى ، وتتبع النبیین و المرسلين من آله و تربته ، وكن لرفعهم قدرأ و إلههم ذكراً آل عمران قبل أن تحم النبوة بولد بسامعيل عليهم قسالة و السلام (٢) .

وقال الأستاذ عبد الكريم الخطيب " رحمه الله " (من تصريف له في مكة ، أنه يؤذي الملك من يشاء ، ويرزع الملك من يشاء ، ويعمر من يشاء ، ويزل من يشاء و قد اقتضت حكمته سبحانه أن يصطفى من يشاء من عباده لتلقى عبته و عطاياه وإلى من عباده الذين اصطفاهم لأقصائهم و منحه آدم و نوحاً ، وآل إبراهيم وآل عمران ، فآدم ، هو أبو البشر و قد نصطفاه الله فجعله خليفة في الأرض .

١ - آية رقم ١٢٢ .

٢ - ينظر . تفسير المنار ٣ / ٢٣٧ .

ونوح ، هو الأب الثاني للبشرية بعد أن هلك البشر بالطوفان ، وإبراهيم هو الفرع أبو الأنبياء ، وآله هم هؤلاء الأنبياء من نريته

وعمران هو الفرع الذي من شجرة إبراهيم ، ومن نريته موسى وهرون وزكريا ، ويحيى وعيسى عليهم السلام .

وفي قوله تعالى " وآل إبراهيم وآل عمران " إشارة إلى امتداد الاصطفاء من الأصوب إلي الفروع وهذا قال تعالى (إن الله اصطفى آدم ونوحا) لا آل آدم ولا آل نوح لأن ذلك يشمل الإنسانية كلها من حيث كان آدم ونوح أبوي البشرية كلها ، فلا يكون والأمر كذلك مكان للاصطفاء من بين النرية للاصطفاء كلها

وفي قوله تعالى (نرية بعضها من بعض) أي أن هؤلاء المصطفين من آل إبراهيم وآل عمران هم وآبائهم من معدن واحد ، خلص من شوائب النساء والكدر وجاء الفرع مشتمها للأصلى ، طيب وكرما ، وكمالا وحسنا (١) .

الموضع الثاني : في سورة النساء

وهو قوله تعالى : ﴿ إِنَّا نُوْحِيكَ إِلَيْكَ كَمَا أَنُوحِيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَنُوحِيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْفَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴾ (٢) .

الفرق بين اتحاد الوحي للرسول

لפי هذه الآية فكريمة يذكر الحق سبحانه وتعالى نعم نبي الله نوح في معرض الحديث عن اتحاد الوحي الذي جاء به جميع الرسل من أولهم إلي آخرهم

١ - ينظر للتفسير القرآني بعد الكريم للحطيب ١/٤٣٣/٤٣٤ .

٢ - آية رقم ١٦٣ .

ولا مجال لت الشك في هذا الكتاب في رسالة محمد ﷺ وهم يعلمون من أمر
الوحي مالا يعلمه غيرهم .

يقول صاحب الطلح رحمه الله (ويستطرد السياق في مواجهة أهل الكتاب
واليهود منهم في هذا الموضع خاصة وموقفهم من رسالة محمد ﷺ ورسمهم
أن الله لم يرسله و تفريقهم بين الرسل ، وتحتهم وهم يطلبون أمرة على رسالته
كتاب يريده عليهم من السماء فيقر أن الوحي للرسول ليس بدعا ، وليس عربيا
، فهو سنة الله في إرسال الرسل جميعا من عهد نوح إلى عهد محمد وكلهم رسال
لرسول للتبشير والإنذار ، انقضت هذا رحمة الله بعباده وأهده للحجة عليهم .
وإنذاره لهم قبل يوم الحساب وكلهم جاءوا بوحي واحد ، لهدف واحد ، فالتفرقة
بينهم تعنت لا يستند إلى دليل ، وإذ أنكروا هم رتعتوا طاب الله بشهد . وكفى به
شاهد والملائكة يشهدون ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ
بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ
وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ، وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ
قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ يَفْصَلْنَاهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ، رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ
يَبْلَا وَيَكُونُ بَيْنَهُمْ عَلَى ظُلْمٍ هَؤُلَاءِ رُسُلُ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَزِيرَ حُكْمٍ ﴾

فهو إذن موكب واحد يترامى على طريق التاريخ البشري الموصول .
ورسالة واحدة يهدي واحد للإنذار والتبشير .

موكب واحد يضم هذه الصفوة المختارة من بين البشر نوح ، وإبراهيم ،
وإسماعيل ، وإسحاق ، ويعقوب ، والأسباط وعيسى ، وأيوب ويونس وهارون
، وسليمان ، ودود ، وموسى وغيرهم ممن قصهم الله على نبيه ﷺ في القرآن
، ومن لم يقصهم عليه موكب من شتى الأقسام والأجناس و شتى الصفات ، و
الأوصاف ، وفي شتى الآونة والأزمان ، لا يعرفهم بسب ولا جنس ، ولا أوص

و لا وطن ، ولا زمن ولا بيئة ، كلهم آت من ذلك المصدر الكريم ، وكلهم يحمل ذلك النور الهادي ، وكلهم يؤدي الإنداز والتبشير ، وكلهم يحاول أن يأخذ برمام للقافلة التبشيرية إلى ذلك النور ، سواء منهم من جاء لعشيرة ومن جاء لقوم ، ومن جاء لمدينة ، ومن جاء لقطر ، ثم من جاء للناس أجمعين ، محمد رسول الله ﷺ خاتم النبيين ، كلهم تلقى الوحي من الله ، فـ جاء بشيء من عنده ^(١) .

ويقول فيكتور وهبه الرحيلي في تفسيره لهذه الآية (و تستمر الآيات في مناقشة أهل الكتاب وبيان قسوس عبادهم فهم كما سبق لا يؤمنون بكل الرسل ، ويتطالبون أشياء سمعية من الرسل سواء من موسى أو من محمد عليهما السلام وها تذكر الآيات في مقام معجرتهم أن الوحي جس واحد لا يختلف بين الرسل ، فهو صدقوا الإيمان بموسى أو غيره لأمتوا بمحمد ، فلم يعرفوا بين نبي و نبي ، فالكلام متصل بقوله " يسألك أهل الكتاب " ^(٢) ، فاعلم تعالى أن أمر محمد كأمير من تقدمه من الأنبياء) ^(٣) .

الموضع الثالث : في سورة الأنعام

وهو قوله تعالى ﴿ وَهَبْنَا ذَٰلِكَ بِإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾

الغرض : بيان نعم الله على إبراهيم الخليل

- ١ - ينظر : الظلال ٢ / ٨٠٤ وما بعدها .
- ٢ - سورة النساء آية رقم ١٥٣ .
- ٣ - ينظر : التفسير المنير ٦ / ٣٢ وما بعدها .

هذه الآية الكريمة يذكر الحق سبحانه اسم نبي الله نوح عليه السلام في معرض الامتنان على برهم الطيبين بنعمة التوحيد له و لايتائه و لايتائه ، فهو و الد الأبناء الأبرار ، وابن الأكرام الأبرار .

قال الرزقي - رحمه الله - (اعلم أنه تعالى لما حكى عن إبراهيم عليه السلام أنه أظهر حجة الله تعالى في التوحيد و نصرها و لب عنها عند وجوه نعمة و إحسانه عليه .

فأولها . قوله " وبتلك حجتك أنبأها إبراهيم " والمراد لنا نحن أنبأه تلك الحجة وهدىء إليها وأوقفا عقله على حقيقتها

وثانيها : أنه تعالى خصه بالرافعة و الاتصال إلى الدرجات العلية الرافعة وهي قوله " نرفع درجات من نشاء " .

وثالثها : أنه جعله عزيزاً في الدنيا ، وذلك لأنه تعالى جعل أشرف الناس وهم الأنبياء و الرسل من نسله و من دهره ، وأبقى هذه الكرامة في نسله إلى يوم القيامة لأن من أعظم أنواع السرور علم المرء بأنه يكون من عقبه الأنبياء والملوك ،

والمقصود من هذه الآيات تنبيه أنواع نعم الله على إبراهيم جده على قربة بالذنب عن دلائل التوحيد . غير فالتوا " لم يذكّر إسماعيل عليه السلام مع إسحاق بل آخر ذكره عنه بدرجات ؟ قلنا لأن المقصود بالذكر ههنا أنبياء بني إسرائيل وهم بأسرهم أولاد إسحاق و يعقوب أما إسماعيل فإنه ما خرج من صلبه أحد من الأنبياء إلا محمد عليه السلام في هذا المقام ، لأنه تعالى أمر محمداً عليه السلام أن يخرج على العرب في بني أشرك بالله بأن إبراهيم لما ترك الشرك و أصر على التوحيد رزقه الله للنعم العظيمة في الدين و الدنيا ، ومن لنا نعم العظيمة في الدين أن لنا الله

لؤلؤاً كانوا لثيباء و ملوكا فإذا كان المحتج بهذه الحجة هو محمد استبح أن يذكر نفسه في هذا المعرض فلهذا أمر السبب لم يذكر إسماعيل مع إسحاق .

ولما قوله " ونوحاً هنيئاً من قبل " فالمركب أنه سبحانه جعل إبراهيم في اشرف الأنساب و ذلك لأنه ررقه لؤلؤاً مثل إسحاق و يعقوب و جعل أنبياء بني إسرائيل من نسلهم . وأخرجه من أصناف آباء طاهرين مثل نوح ، وإدريس وشيث .

فالمقصود بيان كرامة إبراهيم عليه السلام بحب الأولاد وحب الأباء .

لم قوله " ومن ذريته داود و سليمان " فقول المراد من ذرية نوح و يدل عليه وجوه :

الأول أن نوحاً أقرب المذكورين و أقرب الصغير إلى الأكبر واجب .

الثاني أنه تعالى ذكر في جنتهم لوطاً وهو كان ابن أخ إبراهيم وما كان من ذريته ، بل من ذرية نوح عليه السلام وكان رسولاً في زمان إبراهيم .

الثالث أن ولد الإنس لا يقال إنه من ذريته ، فعلى هذا إسماعيل عليه السلام ما كان من ذرية إبراهيم بل هو من ذرية نوح عليه السلام .

الرابع وقيل أن يوسف عليه السلام ما كان من ذرية إبراهيم عليه السلام وكان من ذرية نوح عليه السلام .

والقول الثاني : أن الصغير عائداً إلى إبراهيم عليه السلام والتقدير ومن ذرية إبراهيم داود وسليمان ، واحتج القائلون بهذه القول بأن إبراهيم هو المقصود

بالذكر في الآية ، إنما ذكر من تعالى نوح لأن كروب إبراهيم (عليه السلام) من أولاده .
 أحد مرجحات وثقة إبراهيم (١) .

وقال صاحب المصباح رحمه الله في تفسيره دالية (بين الله تعالى في الآية
 السابقة هذه بعض ما رفع به من درجات إبراهيم عليه الصلاة والسلام ثم بين
 في هذه قصته ونسبه عليه في حسبه ونسبه ، وأعلىها جعل للكتاب والحكم
 والنبوة هي درجته . فقال ' ووهب له إسحاق ويعقوب كلا هدينا ' أي ووهب
 لإبراهيم بآية من إسحاق نبيا من الصالحين ومن ورثه إسحاق ولده يعقوب نبيا
 محبوب منجبا للأنبياء والمرسلين ، ووهب كلا منهما كما هدي إبراهيم بما
 أنقذاهما من النبوة والحكمة وقوة الحجة ، وإني ذكر إسحاق من ولدي إبراهيم
 لأن اسمعيل لأنه هو الذي وهبه الله تعالى له بآية منه بعد كبر سنه ويا من
 سرته سريرة علي عظمها جزء لإيمانه وبهيمانه ، وكمال إسلامه لربه وبخلاصه
 بعد ابتلاءه بنوح ونوح واستسلامه لأمر ربه في الترويض من غير تأويل ولم يكن
 له ولد ، سواء حتى كبر سنه وقد ولد له من سرية شعبة ولد ذلك قال تعالى بعد
 ذكر قصة الذبح من سورة الصافات: ﴿ وبشرنا إبراهيم نبيا من الصالحين ﴾
 (٢)

(ونوح هديت من قبل) أي وهبوا جده نوحا هديده من قبل إبراهيم إلى
 مثل ما هديت له إبراهيم ودرجته من النبوة والحكمة والإرشاد للخير وتلقي الحجة

وأما قوله تعالى (ومن سرته داود وسليمان وإيوب ويوسف وموسى
 وهارون وكذلك نجزي المحسنين - وركبنا ويحيى وعيسى وإليس كل من
 الصالحين - وإسماعيل وإيسع ويونس ونوحا وكلا فصلنا علي للعالمين) .

١ - ينظر تفسير القرطبي ٧ / ٥٧ وما بعدها .

٢ - آية رقم ١١٢

فهو عطف على (نوح هنيئاً) أي وهنيئاً من ذرية داود وسليمان
الخب

وقد جرم ابن جرير شيخ المفسرين بأن الضمير في ذريته لنوح وتبعه
على ذلك بعض المفسرين واحتجوا بأنه أقرب في الذكر . وبأن لوطاً ويونس
أولاً من ذرية إبراهيم .

وبراد بعضهم أن ولد المرأة لا يعد من ذريته . فلا يقال أن إسماعيل من
ذرية إبراهيم . وهذا القول لا يصح لتصريح أهل اللغة بأن السرية النسل مطلق
وأخذ بعضهم من قوله تعالى (وآية بهم لنا حملك ذريتهم هي آيةك
المشعرون) (١) .

أن الذرية تطلق على الأصول كما تطلق على الفروع . وذلك بناء على
أن المراد بالآية المشعرون سفينة نوح .

وقال بعضهم أن الذرية هنا للفروع المقترنة في أصل السلاسل الآباء . فيقول
الأخر في آيةك المشعرون . أنه سفينة التجارة التي كان المخاطبون يرملون فيها
أولادهم يتجرون .

وذهب سائر المفسرين إلى أن الضمير عائداً إلى إبراهيم لأن الكلام في
شأنه . وما أتاه الله تعالى من فضله . ولم يذكر نوحاً لأنه جده . فهو ليبين نعم
الله عليه في الفضل أصوله تمهيداً ليبين نعمه عليه في الكثير من فروعه . ويراد
على ذلك أن الله جعل الكتاب والنبوة في نسلهما معاً منفرداً ومجتمعاً كما قال

تعالى في سورة الحديد * ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم وجعلنا في سبطهم النبوة والكتاب * (١)

وقال بعض هؤلاء أن يوسف من ذرية إبراهيم وأن لوطا من أخيه وقد عاجز معه فهو يدخل في بيته بطريق الخليل . وبعد منها بطريق التجوز الذي يسمون به العلم أي (٢) .

الموضع الرابع : في سورة الأعراف

وهو قوله تعالى (أو عجبت أن جاءكم ذكر من ربكم علي رجل منكم لينذركم ولذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزاركم في الخلق بسطة فاذكروا إله الله لعلكم تفلحون) .

الفرص ابين أن هذه الآية تذكر قومه بما حدث لقوم نوح ،

ففي هذه الآية الكريمة يحكي الحق سبحانه وتعالى ما حدث من هود . خبره مع قومه وهو ينكرهم بما حدث لقوم نوح من الهلاك بعد تكذيب نبيهم رجاء أن ينظروا فينبو إلى رشدكم فيكونوا من المفلحين .

يقول الإمام الطبري رحمه الله في تفسيره للآية (أو عجبت أن جاءكم ذكر من ربكم علي رجل منكم لينذركم يقول : أو عجبت أن أنزل الله وحيه بتذكيركم وعصيتكم علي ما أنتم عليه مقيمون من الضلالة علي رجل منكم لينذركم بإس الله ويخوفكم عقابه . " واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح " يقول فاتقوا الله في أنفسكم واذكروا ما حل بقوم نوح من العذاب إذ عصوا رسولهم وكفروا بربهم فإنكم إنما جعلكم ربكم خلفاء في الأرض منهم لما

١ - آية رقم ٢٦ .

٢ - ينظر : تفسير المعاني ٨٧/٧ وما بعدها .

أهلكهم أهلكم منهم فيها ، واتقوا الله لي يحل بكم نظير ما حل بهم من العقوبة فيهلككم ويبدل منكم غيركم . سنته في قوم روح قبلكم على معصيتكم إياه . وكفركم به . ورائكم في الخلق بمسطة . راد في أجسامكم طولا وعظما على أجسام قوم نوح . وفي قوامكم على قولهم نعمة به بذلك عليكم فادكروا نعمة وفصله الذي فصلكم به عنهم في أجسامكم وقومكم واشكروا الله على تلك البركات العديدة به وفرك الإشراف به وهجر الأوثان والأنداد (لعنكم نفلحون)

يقول (كي نفلحوا فنتركوا للعبود والبقاء في النعيم في الآخرة ونسبحوا في طلباتكم عنده)^(١) .

ويقول صاحب الظلال رحمه الله عند تفسيره للآية (ولا بد أن يكون القوم قد عجبوا كما عجب قوم روح من قبل . من هذا الاختيار . ومن تلك الرسالة . فإن هود يكرر لهم ما قاله روح من قبل . كأنه كلاهما روح واحدة في شخصين) . ' لو عجبتم أن جاءكم نكر من ربكم على رجل منكم لينترككم ' ؟

ثم يريد عليه ما يمتيه والمهم ، واقع استعلائهم في الأرض من بعد قوم نوح وإعطائهم قوة وصيغة بحكم نشأتهم الجبلية . وإعطائهم كذلك السلطان والسيطرة

* واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح ورائكم في الخلق بمسطة فادكروا ألاء الله لعنكم نفلحون ' فلقد كان من حق هذا الاستعلاء ، وهذه القوة والبسطة . أن تستوجب شكر النعمة . ولحذر من البطر . ولقاء مصير الغابرين وهم لم يأمنوا على الله عهداً : أن تتوقف سنته التي لا تقبل . والتي تجري

وفي ذلك من المرسوم يقرر معبود و ذكر النعم يوحى شكرها وشكر النعمة
تبعها المحامدة على أسبابها ومن ثم يكون الفلاح في الدنيا والآخرة .

ويكن لفطرة حين تحرف لا تتفكر ولا تكبر ولا تنكر وهكذا أحدث الملا
العرى بالآثم واحتصروا للجل ، واستعجلوا للعذاب استعجال من يستقل النصح
ويهزأ بالآثم (١) .

الموضع الخامس : في سورة التوبة ،

وهو قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ
وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ
لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (٢)

الفرص : تذكر الكفر والمساكين بما حدث للكافرين من الأمم السابقة

ففي هذه الآية الكريمة وحده الحق سبحانه وتعالى نبيه قائلًا له بل
هؤلاء الذين أعرضوا عن دعوتك ولم يؤمنوا به أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
ممن صاروا في نفس الطريق قوم نوح ، وعد ، وثمود ، وقوم إبراهيم
وأصحاب مدين ، والمؤتفكات ، هؤلاء أتتهم رسلهم بالبينات فأعرضوا وكذبوا
فجاءهم العذاب ، وأولهم قوم نوح .

وقد ذكر الحق سبحانه وتعالى حير هذه الطوائف لامت لا يعظ قوم هود
كما فعل في سورة الأعراف وإنما يعظ هنا أمة محمد ﷺ فالمجال من غير شك
مختلف وإن لفق في الشكل لعدم .

١ - يظن : للظلال ٣ / ١٣١١ .

٢ - آية رقم ٧٠ .

يقول صاحب الميزر رحمه الله عند تفسيره للآية (ألم يأتيهم نبي من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقرم إبراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات ' هذا استنباهم تقرير وثوبوخ لمن نزلت فيهم الآيات من الكفار والمذائق في عهد النبي ﷺ يذكروهم بالأقوام الذين صلوا من قبلهم ووصلت إليهم سيرتهم وكان أشد قوة - وأكثر أموالاً ولولاداً منهم .

وقد فصل بينهم ومحل للعبارة فيه بقوله " فكنهم رسهم بالبيئات " أي فأعرضوا عنها ، وعند الرسل فأخذهم الله بالعذاب وهو الطوفان الذي أغرق قوم نوح ، وفريق العظيم التي أهلكك عاداً قوم هود ، والصيحة التي أخذت ثمود والعذاب الذي هلك به النمرور ، الذي حاول إحراق إبراهيم والخسف الذي نزل بقري قوم لوط ، وهم فيها .

" فما كان الله ليظلمهم " أي فما كان من سنة الله ولا من مقتضى حكمته وحكمته أن يظلمهم بما حل بهم من العذاب ولا أنذرهم وأعد إليهم أوجنتهم " ولكن كانوا أنفسهم يظلمون " بجحودهم وعنادهم ، وعدم ميلالاتهم بإندرسهم

والمراد من صرب هذا السمل للكافرين برسالة محمد ﷺ من المجاهدين والمذائق ، أن سنة الله هي عبادة واحدة لا ظلم فيها ولا محاباة ، فلا بد أن يحل بهم من العذاب ما حل بأهلهم من أقوام الرسل بن لم يتوبوا كما قال في سورة القمر " أكنركم خير من أوتنكم لم نكم برءة في قريد (١٧)

و يقول صاحب التفسير للوصح رحمه الله عند تفسيره للآية (ألم يأتيهم نبي من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود ، وقرم إبراهيم وأصحاب مدين ، وقوم لوط ، هؤلاء أنتهم رسنهم بالبيئات فأعرضوا وكنبروا ، فجاءهم العذاب كالتطوفان الذي

١ - آية رقم ٤٣ .

٢ - ينظر : تفسير المنذر ١٠ / ٤٦٤ وما بعدها .

أغرق قوم نوح والريح الذي اهلك عاد ، والصيحة التي أبادت ثمود ، والعذاب الذي هلك به عموق ، والحسف الذي نزل بقرى قوم لوط و هم فيها ، مما كان الله يظلمهم جميعا عنهم . وقد انذرهم ومن أندر فقد أعدر " ولكن كانوا لعنهم يملئون " .

والغرض من ضرب المثال أن يفهم الكافر و المستغترون جيدا أن سنة الله مع الحق لا تتغير ولا تتبدل وأن العذاب سيورل بهم حتما ﴿ أَكْفَلْتَكُمْ خَيْرَ مَنْ لَوْ كُنْتُمْ أَمْ لَكُمْ بِرَأءَءٌ ﴾^(١) فاعتبروا يا أولي الأبصار^(٢) .

الموضع السادس في سورة هود :

وهو قوله تعالى : ﴿ وَبِأَيِّ قَوْمٍ لَا يَجْزِيكَمْ شِقَاقِي أَنْ يَصِيبَكُمْ عَذَابٌ مِمَّا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ لُوطٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمَ لُوطٍ مَتَّكُمْ بَعِيدٌ ﴾^(٣) .

الغرض - بيان أن شعيب عليه السلام ذكر فوق بما حدث لقوم نوح وغيرهم

ففي هذه الآية الكريمة يحكي الحق سبحانه وتعالى ما حدث من شعيب عليه السلام مع قومه وهو يذكرهم بما حدث لقوم نوح وقوم هود ، وقوم صالح ، وقوم لوط ، من الهلاك بعد تكذيب أنبيائهم . وذلك بعد حوار طويل بينه وبين قومه هم يريسون الإنفاص في الكيل والميزان ، وهو يريد الطريقة المثلى في معاملة الناس لا دقوس ولا زياده . وقد حذرهم منبهة فعلمهم هذا بذكر ما جرى لهم قبلهم من المجرمين الذين تمادوا في جرمهم برغم إرسال الرسل إليهم ونهين الأمر لهم

فالمجال هذا أيضا مختلف عما جاء في سورتي الأعراف والتوبة .

١ - آية رقم ٤٣

٢ - ينظر التفسير الواسع ١ / ٩٠٣ وما بعدها .

٣ - آية رقم ٨٩

يقول الإمام الطبري رحمه الله في تفسيره للآية (يقول تعالى ذكره محيرا عن حين شعيب لقومه " و يا قوم لا يجر منكم شقاقي " يقول لا يجعلكم عديوتي وبغضي و فراق الذين لدي أنا عليه . علي الإصرار علي ما أنتم عليه من الكفر بالله و عبادة الأوثان و بخص الناس في المكيال والميزان وترك الإجابة و الطوعة ف يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح من العرق ، أو قوم هود من العذاب ، أو قوم صالح من الرجفة . وما قوم لوط الذين أنفكت بهم الأرض منكم ببعدهم هلاكهم أفلا تتعلمون و تعتزرون يقول فاعتبروا بهم واحذروا أن يصيبكم بشقائي مثل الذي أصابهم) (١) .

ويقول صاحب التفسير القرآني لأقرن رحمه الله عند تفسيره للآية (وفي هذه الآية يتابع شعيب القصة فنصح لقومه ، وفي كل مرة يدعوهم إليه بذلك للكلمة التوحد يا قوم أي يا أهلي وب أحببي " لا يجر منكم شقاقي " أي لا يكن عدائكم لي و خلافكم علي معي في ارتكاب هذا الجرم "

الخير في حق أنفسكم فتقاتلوا أنفسكم بأيديكم ، في استئاعكم من الاستجابة لي ومن قبول الخير الذي أبسط به يدي إليكم هو جريمة تقتضونها في حق أنفسكم ، و تتعرضون لأن يصيبكم من الله ما أصاب الظالمين من قبلكم قوم نوح ، وقوم هود ، وقوم صالح . وقوم لوط الذين لم يبعد قرين كثير أهلكهم و بين ما حل بهم من عذاب الله ونقسه) (٢) .

الموضع السابع : في سورة إبراهيم :

١ - ينظر تفسير الطبري ٦٣/٧

٢ - ينظر : التفسير للقرآني للقرآن ٣ / ١١٩٠ وما بعدها

وهو قوله تعالى ألم يأكذب المب من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله ج عذبهم ربهم بالبيوت فردوا أيديهم هي أقوامهم و قلوبهم بما أرسنتم به و إن بقي شك مما تدعوننا إليه مريب (١)

العرض بيان أن موسى عليه السلام ذكر قومه بعد حدث للمعاصرين من الأمم ومنهم قوم نوح .

ففي هذه الآية الكريمة يحكى للحق سبحانه و تعالى ما حدث من موسى عليه السلام مع قومه وهو يذكرهم بما حدث للمكثبين لعنهم من قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم ، أهلكهم الله بدورهم وما كان يظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون .

والآية الكريمة واردة بوضع قوم موسى ، و تخويفهم لعلمهم يتذكرون و هي مختلفة عما جاء في السور السابقة (سورة الأعراف ، و سورة التوبة ، و سورة هود)

وقول الإمام الرازي رحمه الله عند تفسيره للآية (ثم إنه تعالى قال ﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ﴾)

ونكر أبو مسلم الأصفهاني أنه يحتمل أن يكون ذلك خطاباً من موسى عليه السلام لقومه والمقصود منه أنه القوم الذين يخوفهم بمثل هلاك من تقدم .

ويجوز أن يكون مخاطبة من الله تعالى على لسان موسى لقومه يذكرهم أمر القرون الأولى ، والمقصود إنما هو حصول العبرة بأحوال المتقدمين .

لا أن لاكثرين ذهبوا إلى أنه يتدء مخاطبة لقوم الرسل (١)

وقال للنبيصوري رحمه الله (ألم يأتكم * يحمل أن يكون خطاباً من موسى لقومه و انصرص تخويلهم بمثل هلاك من تقدم من القرون ، فيكون داخلًا تحت التذكير بأولم الله

واعتل أن يكون مخاطبة من الله على لسان موسى لقومه بذكرهم أمر القرون الأولى بالله أبو مسلم .

والأكثر من على أنه ابتداء مخاطبة لقوم الرسول ﷺ تحديراً بهم عن مخالفتهم (١) .

والذي أميل إليه أن الخطاب في الآية للكرامة إما من موسى لقومه ويخوفهم بمثل هلاك من تقدم من القرون السابقة لو من الله سبحانه و تعالى على لسان موسى لقومه بذكرهم أمر القرون الأولى ، و ليس خطاباً لقوم الرسول ﷺ لأن سياق الآية للكرامة يشعر أن الخطاب إما من موسى لقومه ، أو من الله على لسان موسى لقومه .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظَّالِمَاتِ إِلَى الثَّوْرِ وَلَظَرَهُمْ بِآيَاتِنَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ لَتُكْفَرُوا بَعْدَ لَعْنَةِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَجَاكُمْ مِنْ آلِ هَارُونَ بِسُوءِ مَوَدَّتِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ لَكُمُ الْكَيْدُ وَمَا نَحْنُ بِمُؤْمِنِينَ وَإِنْ تَأَذَّنْ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ وقال موسى يَنْتَفِرُوا لَكُمْ مِنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَأَنْتَ اللَّهُ تَعَالَى حَمِيدٌ .

ثم يقول بعد ذلك مباشرة * ألم يأتكم نيا قر من الذين من قبلكم (٢) .

١ - ينظر : تفسير القرطبي ١٠ / ٦٩ .

٢ - ينظر : تفسير النيسابوري ٧ / ١٠٧ هامش الطبري

ومن قال غير ذلك فقد خالف سياق الآيات

يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله مؤيداً هذا الكلام السابق ويستمر موسى في بيانه وتذكيره لقومه . ونكهة يتوارى عن المشهد لتكرر لمعركة فكبرى بين أمة الانبياء والجاهليات المعكبة بالرس والرسالات وبذلك من بدائع الأداء في القرآن . لإحياء المشاهد ونقلها من حكاية تروى إلى مشهد ينظر ويسمع . وتتحرك فيه للشخوص وتجلى فيه السمات والانفعالات

وذلك إلى الساحة الكبرى التي يتلاشى فيها الزمان والمكان .

﴿ لَمَّا يَلْتَمِسُ بَنُو الْاَذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمَ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ اِلَّا اِلٰهٌ جَاعِلُهُمْ رُسُلَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا اِلَيْهِمْ فِي اَقْوَامِهِمْ وَتَلَاَوْا اِنَّا كُنَّا بِكُمْ لَارْسِلْتُمْ بِهِ وَاِنَّا لَبِىْ شَكْلًا مَعًا تَدْعُوْنَا اِلَيْهِ مُرِيْبٍ ﴾

هذه التذكير من قول موسى ولكن السياق عند الآن يجعل موسى يتوارى ويستمر في عرض قصة اللرس والرسالات في جميع ازماتها . قصة قرسل وقرسلات في مواجهة الجاهلية وعاقبة المكذبين بها على اختلاف الرسل والمكان . وكل موسى "رواية" يبدأ بالإشارة إلى أحداث الرواية الكبرى ثم يدع أبطالها يتحدثون بعد ذلك ويصرفون . وهي طريقة من طرق المعرض للقصة في القرآن تحول القصة المكية إلى رواية كما أسلفنا . وهذا مشهد للرس الكريم في موكب الإيمان . يواجهون البشرية مجتمعة في جاهليتها . حيث تتوارى للعواصل بين أجيالها و أقوامها . وتبرز الحقائق الكبرى مجردة عن الزمان والمكان . كما هي في حقيقة فوجود خلف حواجر الزمن والمكان

التي تسببت في قصة نوح عليه السلام

﴿ لَئِنْ لَّمْ يَلْعَنُوا نَبَاً لَّذَيْنِ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ ﴾ .^(١) .
 م بين ثمود وقوم موسى . والسياق هنا لا يعني بتفصيل أمرهم ، فهناك وحدة في دعوة الرسل ، ووحدة فيما قولت به . وجاءتهم رسالتهم بالبينات ،^(٢) الواضحات التي لا يلتبس أمرها على الإدراك للعالم ،^(٣) فرددوا أيديهم في أفواههم وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به وبنا لفي شك مما تدعونا إليه مريب ،^(٤) ردوا أيديهم في أفواههم كما يفصل من يريد تمويج للصوت ليسمع عن بعد . بحركتك كفه أمام فمه وهو يرفع صوته دهاياً وليدها فيتموج الصوت ويسمع . يرسم السياق هذه الحركة التي تدل على جهرهم بالكذب والشك . وبفحاشتهم في هذا الجهد . وبفحاشتهم بهذه الحركة الغريبة التي لا أدب فيها ولا سوي إمعان بهم في الجهر بالكفر .^(٥) .

الموضع الثامن : في سورة الإسراء

وهو قوله تعالى ﴿ ذُرِّيَّةً مِنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾^(١) .

الغرض : يولي نعم الله على بني إسرائيل .

في هذه الآية للكرامة بين الحق سبحانه وتعالى لبني إسرائيل قصده طيبهم حين أخرجهم من أبناء ورزقي البقية الباقية من قوم نوح الذين آمنوا معه . وحملوا في السعفة ونجوا من الغرق ،^(٢) الذي حل ببخلائهم للكافرين .

وإن : فطوبى لمن يتأسوا بأبائهم ويؤمنوا منهم . ويشكرو ربهم أن يعث فيهم رسولاً وأنزل معه كتاباً بهديهم إلى الحق . وإلى صراط الله المستقيم ، كما كان نوح عليه السلام عبداً طائعاً لله . لا يشرك به شيئاً شكوراً لما أنعم به عليه .

١ - ينظر : للطلال ٤ / ٢٠٨٩ و ما بعدها

٢ - آية رقم ٣ .

قال الأستاذ عبد الكريم الخطيب في تفسيره بآية ﴿ ذرية من حمل مع نوح ﴾ إنه كان عبد شكور السريه أي السب الذي تقاسم من نوح و أبنته أي أن بني إسرائيل هؤلاء هم من أبناء وذراري البقية الباقية من قوم نوح - الذين آمنوا معه ، وحملوا في السفينة وسجوا من العرق ، وفي وصف بني إسرائيل بهذه الصفة إغدت لهم إلى أنهم من ذرية قوم مؤمنين نجاهم الله بإيمانهم من الغرق الذي حل بإخوانهم الكافرين .

وإن الخروج بني إسرائيل من الإيمن الذي كان عليه أبائهم لأولى . وبصورتهم إلى الكفر الذي كان عليه يحرس أبائهم هؤلاء - هو تصديق لهذا الميراث الكريم الذي تركه لهم أبائهم ثم هو عنوان على الله وتعرض لنقصته ، كما انتقم من عصيائهم فأغرقهم و اجثت أصولهم .

وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ كَانَ عَدُوًّا مُّشْكُورًا ﴾ تصريح لبني إسرائيل على أن ياتقوا بنوح و يتأسوا به و يشكروا الله أن بعث فيهم رسولاً ، وأنزل معه كتاباً يهديهم ويبين لهم طريق الحق (١) .

ويقول الدكتور وهبة الزحيلي في تفسيره للآية (ثم أبان الله تعالى تشريفه لبني إسرائيل و إتمام نعمته عليهم ، فحملهم على إتباع الرسل . فقال ' ذرية من حمل مع نوح ' أي يا ذرية نوح و حدة أولئك الذين نجاهم الله من الغرق مع نوح و هداهم إلى طريق التوحيد و الحق و الخير تشبيهاً بأصولكم وأنتم أولى الناس بالتوحيد و إتباع سيرة الأنبياء والمرسلين ، وفي مقدمتهم أبوكم نوح عليه السلام ، الذي كان عبداً مبالغاً في الشكر لنعم الله و عرفان قدره وعظمته ، وإنما يكون العبد شكوراً إذ كان موحداً لا يرى حصول شيء من النعم إلا من فضل الله فالتقوا نوره ، واتبعوا منهجه ، ومنته والفتوا به كما أن أبائكم التفتوا به (٢)

١ - ينظر :

٢ - ينظر : التفسير للمفهر ١٥ / ١٥ .

وهو قوله تعالى : ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكُلٌّ يَرْجِعُ بَدْنُهُمْ جِلْدَ خَبِيرٍ ﴾ (١) .

القرص ، الهلجد مشركي قريش

هذه الآية للكرامة بحدوث المولى تبارك و تعالى كفار قريش أن يصيبهم من الهلاك مثلما أصيب للقرون الأولى التي كتبت رسلها ، فأهلكهم الله بدنوبهم ، فيقول لهم بأننا أهلكنا قرون كثيرة بعد نوح كانوا على مثل ما أنتم عليه ، ولستم بأكرم على الله منهم فاحذروا أن يحد بكم من الهلاك مثل ما حل بهم

يقول الطبري - رحمه الله - في تفسيره للآية (القول في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكُلٌّ يَرْجِعُ بَدْنُهُمْ جِلْدَ خَبِيرٍ ﴾ وهذا وعيد من الله تعالى ذكره مكلمي رسوله محمد ﷺ من مشركي قريش وتهديد لهم بالعقاب ، وإعلام منه لهم أنهم إن لم ينتهوا عما هم عليه سقيمون من تكذيبهم رسوله ﷺ أنه محل بهم سخطه وحزل بهم من عقابه ما لنزل به قبلهم من الأمم الذين ملكوا في الكفر بالله وتكذيب رسله سيبلهم يقول الله تعالى ذكره " وقد أهلكنا لهما القوم من قبلكم من بعد نوح إلى زمانكم قروناً كثيرة كانوا من جحود آيات الله و الكفر به وتكذيب رسله على مثل الذي أنتم عليه ولستم بأكرم على الله تعالى منهم ، لأنه لا مناسبة بين أحد وبين الله جل ثناؤه لمعذب قوماً بما لا يعذب به آخرين أو يحو عن دنوب ناس فيعاقب عليها آخرين يقول جل ثناؤه فأنهبوا إلى طاعة الله ربكم فقد بعثنا إليكم رسولاً ينهيكم على حجبكم عنكم و يوقظكم من غفلتكم و لم تكن لتعذب قوماً نبعث إليهم رسولاً

منبها لهم على حجج الله و أنتم على فسوقكم مقبوض وكفى بربك يا محمد بسوب عباده خبيراً بقوى و جميلات يا محمد بالله خبر بختوب حقه عالم فإنه لا يحفى عليه شيء من أفعال مشركي قومك هؤلاء ولا أفعال خير هم من خلفه هو بجميع تلك عالم خبر بصير بقوى يصير ذلك كله فلا يغرب عنه منه شيء ، ولا يعرب عنه من متغال برء في الأرض ولا في السماء ولا لصغر من ذلك ولا أكبر (١)

وبعون الأستاذ المراشي في تفسيره للآية ﴿ وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح ﴾ أي وقد أهلكنا أمة كثيرة قبلكم من بعد نوح حتى زمانكم جهنم آيات الله و كتبوا رملة وكانوا على مثل ما أنتم عليه من السرور والأثام ، وبستم بأكرم على الله منهم فاحذروا أن يحل بكم من العقاب مثل ما حل بهم وينزل بكم سخطه مثل ما نزل بهم . وفي هذا من المواعيد لمكتبي رسول الله من مشركي قريش و تهديدهم بشديد العقاب إلى أن يذنبوا عما هم عليه من تكذيب رسوله ما لا يخفى (٢) .

الموضع العاشر في سورة مريم

وهو قوله تعالى : ﴿ لَوْ كُنْتَ الذَّنْبَ أُنْعِمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمَنْ جَعَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِنْ هَدْيٍ وَجَنَّتِهَا إِذْ تَتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الْكِتَابِ لَخَرُوفٌ سَجْدًا تَنْكِبُ ﴾ (٣) .

الغرض : التعريف بآيات الأنبياء

١ - ينظر تفسير الطبري ٨ / ٤٢ ..

٢ - ينظر - تفسير المزاوي ٥ / ٢٩٧ وما بعده .

٣ - آية رقم ٥٨ .

عني هذه الآية الكريمة بحيرب الحق سبحانه و تعالى بأن الأنبياء للدين ورد ذكرهم في السورة للكريمة و غيرها هم أبناء لها لاء لأنبياء القديس ، فهم من سرية آدم و من نرية من حملنا مع نوح ، و من نرية إبراهيم ، و من نرية إسرائيل و من نرية من اخترناه لرمالنا و وحيب

وقد ورد اسم نوح في الآية الكريمة على أنه واحد من آباء القديس أنعم الله عليهم من القديسين .

يقول الإمام الطبري رحمه الله في تفسيره للآية (يقوب تعالى ذكره لقبه هؤلاء القديس لقتصصت عنك أنبيائهم في هذه السورة ب محمد الدين أنعم الله عليهم بتوفيقه فهذاهم لطريق ارشد من الأنبياء من سرية آدم و من نرية من حملنا مع نوح في الفلك و من نرية إبراهيم حنبل الرحمن و من نرية إسرائيل و من نرية لآدم و العمل بملأه و اجنبينا يقول و من اسطعينا و اخترنا لرمالنا و وحيب ، والذي عني به من نرية آدم ، إدريس و الذي عني به من نرية من حملنا مع نوح إبراهيم ، والذي عني به من سرية إبراهيم إسحاق و يعقوب و إسماعيل ، والذي عني به من نرية إسرائيل موسى و هارون و زكريا و يحيى و أمه مريم لملك فرق تعالى ذكره لآبائهم و إلى كال يجمع جميعهم آدم لأن فيهم من ليس من ولد من كل مع نوح في السفينة وهو إدريس و إدريس جد نوح (١)

ويقول صاحب الظلال - رحمه الله - (السياق يقف في هذا الاستعراض عند المعالم البارزة في صفحة النبوة من تاريخ البشرية ، من نرية آدم ، و من حملنا مع نوح و من نرية إبراهيم و إسرائيل لأنهم يشمل الجميع ، و نوح يشمل

من بعده وإبراهيم بشمر ورعى النبوة الكبارين . ويعقوب يشمر شجرة بني
يسر أنيل وإسماعيل وإليه ينسب للعرب ومنهم خاتم النبيين

أولئك النبيون ومعهم من هدى الله واجتنب من الصالحين من تربيتهم
صفتهم البارزة إذ تنلى عليهم آيات الرحمن خرواً سجداً وبكياً فهم ألقباء شبيبوا
الصباينة بالله ترتعش وجدائهم حين تنلى عليهم آياته فلا تسمعهم الكلمات
تتعبير عما يخالف مشاعرهم من تأثر ، فتقصر عيونهم بالسموع ويجرون سجداً
وبكياً (١) .

الوضع لعادي عشر : في سورة النور

وهو قوله تعالى ﴿ وَإِنْ يَكْذِبُوا فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَهَارُونَ وَآلُوهُ
وَأِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ نُوحٍ ، وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَى فَأَمَلْنَا لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ
لُحِقَتْهُمْ فَقَبْ كُنْ نَكِيرٌ ۝ (٢) ﴾

الغرض : تسلية الرسول ﷺ

ففي هذه الآيات يخاطب المولى سبحانه وتعالى نبيه قائلاً له بأن هذا
للتكذيب الذي حدث من قومك ليس بدءاً في الأمم ، فكثير منها قد كذبت رسلاً ،
فحل بها من الهلاك ما فيه عبرة لمن اعتبر ، وهذا تسلية للرسول ﷺ .

وكذا ورد اسم نوح في هذه الآيات مضاملاً إلى قومه ليعرفهم به حين أراد
سبحانه أن يذكرهم في قائمة المكذبين للرسول

١ - ينظر : لطلال ٤ / ٢٣١٥

٢ - الآيات رقم ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ .

قال الأستاذ عبد الكريم الخطيب في تفسيره الآية (هي هذه الآيات موساه للنبي الكريم وعزاء جميل من رب العالمين لما يلقى من قوم من تكذيب و سعه وتطول بفتلك هي سبيل الأنبياء مع أقوامهم " كلف جاء أمة رسوبها كذبوا " (١) وألف أيها النبي لست بمعول عن هذا ولا قومك يبدع بين لأقوام ، إنه حق و باطل ، وهدى و ضلال وإنه لا يد من صدام بين أصحاب الحق وأهل الباطل ، وبين دعاة للهدى وأئمة للضلال " فمسير كم صبر أو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم (٢) (٣) .

وقال الأستاذ المرعي في تفسيره الآية (بعد أن بين سبحانه فيما سلف أن المشركين أخرجوا للمؤمنين من بيوتهم بغير حق و أنه أدب لهم في معائنهم وصمم لهم للنصرة عليهم ، أرفف هذا تسلية الرسول على ما يرى من قومه . وبصبره على أذاهم وتكذيبهم إياه فأبلى له أن هد للتكذيب ليس بدعا في الأمم فكثير منها قد كتبت رسلها ، فعل بها من الظور ما فيه عبرة لمن اعتبر و تكرر مع شاهدهونه رأى العين في حلهم وترحالهم ، وفي غزوهم وروحهم فلا تحزن على ما ترى ، واصبر فإن العاقبة للمتقين) (١) .

الموضع الثاني عشر : هي سورة الفرقان

وهو قوله تعالى : ﴿ وَقَوْمِ نُوحٍ إِذْ أَنْتَ إِذْ كَذَّبُوا الرَّسُولَ فَرَقْنَا هَمْزًا وَجَعَلْنَاهُمْ فِتْنَةً لَكَ وَأَكْبَدْنَا الْفَاسِقِينَ إِلَى الْيَوْمِ ﴾ (١)

للغرض . بيان عقوبة تكذيب قوم نوح له .

١ - سورة المؤمنون آية رقم ٤٤ .

٢ - سورة الأحقاف آية رقم ٣٥ .

٣ - ينظر : التفسير القرطبي ٥ / ١٠٤٩ .

٤ - ينظر : تفسير المراغي ٦ / ٤٤١ .

٥ - آية رقم ٣٧ .

ففي هذه الآية الكريمه يبين الحق سبحانه و تعالى ما حدث لعوم نوح من العرق جرء تكذيبهم به و مخالفتهم ليه ، ثم بيئت بمشركي قريش لى حالهم بما استمروا على تكذيب محمد ﷺ سيكون لا محالة كحال أولئك المكذبين القداسي

وقد ورد اسم نوح عليه السلام في الآية مصداقاً إلى قومه و لكن ليس لشبهة الرسول ﷺ عن تكذيب قومه له مباشرة كما كان في سورة الحج بل في بيان ما يحدث لأعداء الأنبياء من الهلاك جرء نكبيهم و مخالفتهم لأنبيائهم فالمجل إلى مختلف عما سبق .

قال ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره للآية الفكريمة (يقول تعالى متوعد من كتب رسوله محمد ﷺ من مشركي قومه و من خالفهم ومخدرهم من عقابه و ألهم عقابه من أحبه بالأمم المنصبة المكذبين نرسله ، لهذا يذكر موسى و أنه بعثه و جعل معه أخاه هارون وزيراً في نبأ مزارر و ناصرأ فكذبهما فرعون و جنوده و أمر الله عليهم و للكافرين أمثالها)^(١) و كذلك فعل قوم نوح حين كتبوا نوحاً عليه السلام و من كتب برسول فقد كذب بجميع الرسل ، إذ لا فرق بين رسول ورسول (٢) .

وقال الدكتور وهبه الزحيلي في تفسيره

(وَقَوْمُ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ سُلُوسًا) اي و انكر يا محمد لقومك ما فعله قوم نوح حين كذبو رسولهم نوحاً عليه السلام الذي مكث فيهم يدعوهم إلى توحيد الله و يحذرهم من عقابه ونقمته ألعب سة لا خمسين فما آمن به ، لا قليل فأغرقناهم بالطوفان و جعلناهم عبرة للناس يستبرون بها كما

١ - سورة محمد آية رقم ١٠ .

٢ - ينظر تفسير ابن كثير ٣ ، ٢٢٩ /

قال تعالى : " إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية لتجعلها لكم تذكرة و
تعيها ابن واعية " (١) .

وقوله " كتبوا الرسل " قصد به تكذيب نوح عليه السلام ، على أساس أن من
كتب رسولا واحداً فقد كذب بجميع الرسل إذ لا فرق بين رسول ورسول .
فدعوتهم إلى توحيد الله وتبذ عبادة الأصنام واحدة ولو فرض أن الله تعالى بعث
إليهم كل رسول فإنهم كانوا يكذبونه ثم عزم تعالى الحكم فقال " واعتد
للظالمين عذاباً عظيماً " أي وأعذبنا وهؤلاء عذاب مؤلم هي لأجرة لكل ظالم كل
بالله ، ولم يؤمن برسوله ، وسلك سبيلهم في تكذيب الرسل ، وفي هذا تهديد لكفار
قريش أنه سيصوبهم من العذاب مثلما أصاب قوم نوح (٢) .

الموضع الثالث عشر : في سورة الأحزاب

وهو قوله تعالى " وإنا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومن نوح وإبراهيم
وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً " (٣) .

المغرض : بيان ميثاق الله مع النبيين .

ففي هذه الآية الكريمة يبين الحق سبحانه و تعالى أنه أخذ ميثاقه على
الأنبياء عامة و أولى الأئمة من الرسل خاصة ، أن يبدعوا رسالات ربهم إلى
الناس ، حتى لا يكون لهم حذر عند الله .

وإذ خص بالذكر هؤلاء الخمسة نوح ومحمد وإبراهيم وموسى
وعيسى لئلا يظن على أنهم في غاية الشرف والعز والكمال

١ - الحاقة الآية ١١ ، ١٢

٢ - ينظر التفسير للمير ١٩ / ٦٦ .

٣ - آية رقم ٧

يقول صاحب القائل - رحمه الله - في تفسيره للأية (و بمناسبة م مطر
 في كتاب الله ، وما سبقت به مشيئته ، يكون هو السموس الباقي والمهيج
 للمطر ، يشير إلى ميثاق الله مع النبيين عامة ، والنبي ﷺ وأولي الأئمة من
 أرسل بعده ، في حمل أمانة هذه المهج ، واستقامة عليه ، وتبليغه للناس ،
 والقيام عليه في الأمم التي أرسلوا إليها ، وذلك حتى يكون للناس مسؤوليين عن
 هدايتهم وصلاحهم وإيمانهم وكفرهم ، بعد انقطاع الحجج بتبليغ الرسل عليهم
 صلوات الله وسلامه * وقد أخذ من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم
 وموسى وعيسى بن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً يستلزم الصالحين عن
 صدقهم وأعدنا للكافرين عدباً أليماً * إنه ميثاق واحد مطرد من لدن الله إلى خاتم
 النبيين محمد ﷺ ميثاق واحد ، منهج واحد ، وأمانة واحدة يتسلمها كل منهم
 حتى يسموها وقد عمم القاص أولاً ، وإد أخذنا من النبيين ميثاقهم " ثم خصص
 صاحب القرآني وصاحب الدعوة للعامة إلى العالمين " ومنك " ثم عاد إلى أولى
 الأئمة من الرسل وهم أصحاب كبر الرسالات قبل الرسالة الأخيرة * ومن نوح
 وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم * وبعد بين أصحاب الميثاق عاد إلى وصف
 الميثاق نفسه * وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً " ووصف الميثاق بأنه غليظ منظور فيه
 إلى الأصل اللغوي للفظ ميثاق وهو الحمل للمفترق الذي استعير للعهد والربطة
 وأخره من جانب آخر تجسيم للمعصوي يريد إيجاده للمتعبد ، وإنه لميثاق غليظ
 متين ذلك الميثاق بين الله والمختارين من عباده ليتقوا وحيه ، ويلتزموا به ،
 ويقوموا على منهجه في أمانة واستقامة (١) .

ويقول الأستاذ الدكتور وهبه الزحيلي في تفسيره للأية (و بعد بين مكانة
 النبي ﷺ بين المؤمنين ، أين الله تعالى سمو مهمته و علو منزلته في تبليغ
 الشرائع والدعوة إلى بين الله ورسالة ربه ، ووفائه بتلك المهمة عملاً بميثاق

النبیین فی أنهم یبلغون رسالات الله . وكأنه تعالى من بدیة السورة إلى هذا قال لنبيه طحيماً للأمة . ولا نصف أحداً . وذكر أن الله أخذ ميثاق النبیین فی أنهم یبلغون شرائع الله . ولا یمنعون من تلك حوف ولا طمع . فقال " وإد اخدا من للنبیین ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم وأخذا منهم ميثاقاً غليظاً " وذكر أنها الرسوب أنت أحب للعهد المؤكد على جميع الأنبياء ولا سيما أولوا العزم منهم وهم الخمسة المذكورين فی الآية . فی أنهم یبلغون رسالة الله إلى أقوامهم . ویقومون بین الله تعالى ویتناصرون ویعاونون فیما بینهم بكمال بعصیتهم رسالة من تقدمه كما قال تعالى

﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَّا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ ١

أي أخذ عليهم أن يعلنوا أن محمداً رسول الله وبعث محمد إلى لا نبي بعده

ثم أكد الله تعالى ذلك الميثاق بوصفه بالشدّة والغلبة مهلغة في حرمة وعلامة و نقل تبعته مسؤوليته

والمعنى وأخذا منهم بذلك للميثاق ميثاقاً غليظاً . فالميثاق الثاني هو الأول مؤكداً باليمين أو مكرراً لبيان صفة من طريق استعارة العلف من صفة الأجساد المادية إلى الأشياء المعنوية مبالغة في بيان حرمة وعظمه وحطوره . وقد خص الله تعالى بالذكر خمسة رسل هم أولوا العزم تكويها بشأنهم و بيان أهمية رسالاتهم من باب عطف الخاص على العام كما في آية

١ - سورة آل عمران آية ٨١ .

أخرى ' شرع لكم من الدين ما وصي به نوحٌ ' والذي أوحى إليك و ما وصي به إبراهيم و موسى بن مريم أن أقيموا الدين و لا تتفرقوا فيه) (٢٤) .

الموضع الرابع عشر : في سورة من

و هو قوله تعالى " كذبت قبهم قوم نوح و عاد و فرعون ذو الأوتاد و قوم لوط و أصحلب الأيكة أولئك لأحراب إلى كل ، لا كذب الرسى فحق عتاب " (٢٥)

للعرض تهديد كفار مكة و تسلية محمد ﷺ .

ففي هذه الآية فكريمة يذكر الحق سبحانه و تعالى ستة أقوام من الدين كذبوا أرسهم و ما آل إليه أمرهم أن يكون نكراً لأولئك المكذبين من قريش ، و رجراً لهم عن العباد و اللجاج و تسلية لنبيه محمد عليه الصلاة و السلام عن ألسنه على تكذيبهم و جحودهم للدعوة المحمدية مع صدقها و تأييدها المطلق بالبراهين و المعجرات و قد ورد ذكر اسم نبي الله نوح (عليه السلام) في الآية مصافاً إلى قومه .

وقول الأستاذ عبد الكريم الخطيب في تفسيره للآية (هي هذا العرض بالكلية الدين كذبوا رسل الله أمران :

الأول : مواساة النبي الكريم . بهذا فليدعي لقيه رسل الله من قبله من تكذيب لقوامهم لهم ، فليس النبي ﷺ يدعي قوم ناله من قومه من كذا و صر .

١ - سورة قشورى آية رقم ١٢ .

٢ - ينظر : للتفسير المنير ٢١ / ٢٤٨ و ما بعدها .

٣ - آية رقم : ١٢ .

والثَّانِي : هُوَ تَهْدِيْدُ لِهَؤُلَاءِ الْمَشْرِكِيْنَ لِيْ يَنْتَهُوْا هَذَا الْمَصِيْرَ الْمَشْهُوْمَ الَّذِي لَقِيَهُ الْمَكْدِيْبُوْنَ بِرِسَالَةِ اللَّهِ (١) .

وَيَقُوْلُ بِصَاحِبِ الظَّلَالِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - " كَذَّبَتْ قَبِيْلُهُمْ قَوْمَ نُوْحٍ وَعَادُ وَهَرَعُوْنَ ذُوَ الْأَوْتَادِ وَثَمُوْدُ وَقَوْمَ لُوطٍ وَصَّاحِبِ الْأَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْرَابُ إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَبَ لِرُسُلٍ فَحَقَّ عِقَابٌ " .

فَهَذِهِ أَمْثَلَةٌ مِمَّنْ سَبَقُوْهُ قَرِيْشًا فِي التَّارِيْخِ قَوْمَ نُوْحٍ وَ عَادُ وَهَرَعُوْنَ وَصَّاحِبِ الْأَهْرَامِ الَّتِي يَقُوْمُ فِي الْأَرْضِ كَالْأَوْتَادِ ، وَ ثَمُوْدُ وَ قَوْمَ لُوطٍ ، وَ قَوْمَ شُعَيْبٍ وَصَّاحِبِ الْأَيْكَةِ الْغَدِيَّةِ الْمُنْتَفَعَةِ ، أُولَئِكَ الْأَحْرَابُ ، الَّذِينَ كَذَبُوا الرُّسُلَ ، فَصَادَ كُلُّ مِّنْ ثَمَانِهِمْ وَ هُمُ طَعَامُ بَعَادَةِ مُتَجَبِّرُوْنَ ؟ فَحَقَّ عِقَابٌ وَ كَانَ مَا كُنْ مِنْ أَمْرِهِمْ . وَ دَخَلُوا هَلْهُمْ رَبُّيْ مِنْهُمْ غَيْرَ أَثَرٍ تَنْطَلِقُ بِالْهَرَبَةِ وَ الْإِنْدَحَارِ

ذَلِكَ كُلُّ شَيْءٍ الْأَحْرَابِ الْعَابِرَةِ فِي التَّارِيْخِ فَأَمَّا هَؤُلَاءِ فَسَتْرُوْكُوْنَ فِي عَوْمِهِمْ إِلَى الصَّبِيْحَةِ الَّتِي تَنْتَهِي الْحَيَاةُ فِي الْأَرْضِ قَبِيْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ (٢) .

المَوْضِعُ الْخَامِسُ عَشَرَ : فِي سُورَةِ شَاوَرِ

وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ كَذَّبَتْ قَبِيْلُهُمْ قَوْمُ نُوْحٍ وَعَادُ وَهَرَعُوْنَ ذُوَ الْأَوْتَادِ ، وَثَمُوْدُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَصَّاحِبِ الْأَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْرَابُ ، إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابٌ ﴾ (٣) .

الْقُرْآنُ التَّسْلِيَةُ مُحَمَّدٌ ﷺ .

١ - يَنْظُرُ حَالِ التَّفْسِيْرِ الْقُرْآنِي لِلْقُرْآنِ ٦ / ١٠٥٦ .

٢ - يَنْظُرُ : الظَّلَالِ ٥ / ٣٠١٤ .

٣ - آيَةُ رَقْمِ ٥ .

ففي هذه الآية الكريمة يخاطب الحق سبحانه وتعالى نبيه قائلا له بأن كفار مكة ليسوا أول من كذب بالله ، فقد كذب من قبلهم لقوم وهو أول يلحقوا لأذى بأنبيائهم ، فذاقوا وبال أمرهم وكانت عاقبة أمرهم خسر ومن هؤلاء قوم نوح والأحراب من بعدهم .

وسأفقد بعومك منكما فطعت بهم لن هم أصروا علي الكفر والعدا . وهي هذه نسبة بلقيس عليها السلام عم يكله من حرين تكذيب قومه له ، ويهدم عن الجادة والعماسهم في البطل والمجاج .

وقد ورد اسم نوح عليه السلام في الآية مصاف إلى قومه

يقول الأستاذ عبد الكريم الخطيب في تفسيره للآية ﴿ كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْرَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوا بِبَابِطِلٍ لِيَذْحِصُوا بِهِ الْإِثْمَ فَاتَّخَذْتَهُمْ فِتْنَةً كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ ﴾

هذه تهديد لهؤلاء للمشركين بعداب الله ، فدي وقع بالضلاليين المكنيين فهم ليسوا أول من كذب بالله ، فقد كذبت من قبلهم القوم بعد القوام ، كذبت قبلهم قوم نوح ، وكذلك كذب الأحراب من بعد قوم نوح ، وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه أي أرادت كل أمة من هذه الأمم الضلالة لي تلحق لأذى برسولها أو أن تعتك به " وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق " أي وأقبلوا بالباطل الذي بين يدي للنبي ويقومو بهد الباطل حججا من السفه والضلالت فماده كن مصيرهم ؟ لقد أهدم الله أخط عزيز مقتدر (١) .

ويقول الأستاذ المراعي رحمه الله (ثم قال مستطفا رسوله علي تكذيبه من كذبه من قومه ، بأن له أسوة في سنته ولأئبياء ، فإن أقوامهم كذبوا وما آمن

١ - ينظر للتفسير القرآني ٦ / ١٢٠٦ .

منهم (قنبر) فقال : كذبت قبيح قوم نوح ، وجر ب من بعدهم أي شب قوم نوح والأمم الذين تعذبوا على أنبيائهم بالكنية فصحت بهم ففست بعد يوح أمرهم كما هي سنته في أمثالهم من الممكنين كعاد ونمود ومن بعدهم وكانوا في جحهم على مثل الذي طبع قومك فأهنتهم واستأصبت شافتهم فثم لوق منهم دبراً ولا نافع دبر ، وصبروا كمن الدبر ، وإنكم تمرور على ديارهم مصحبة وممسين

وهكذا سألهم بقومك إن هم أصرروا على الكفر والجدل في آيات الله (١) .

الموضع السادس عشر : في سورة هود أيضاً

وهو قوله تعالى : ﴿ وقال الذي آمن يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب ، مثل داب قوم نوح وعباد ونمود ولذين من بعدهم وما الله يريد ظلماً للعباد ﴾ (٢) .

الغرض : بيان أن مؤمن آل فرعون قد ذكر قومه بما حدث للمكذبين من الأكرام السابقة و منهم قوم نوح .

وفي هذه الآيات الكريمة يذكر الحق سبحانه وتعالى أن مؤمن آل فرعون قد حذر قومه بأس الله في الدنيا والآخرة إن هم أصرروا على تكذيبهم لموسى ، وكفرهم بالله ، وقد ذكرهم بما حدث لقوم نوح ومن بعدهم من المكذبين رجاء أن يمتثلوا فخرجوا عن الكفر والفراف المخلصي والآثم . وقد ورد اسم نوح عليه السلام في هذه الآية متصفاً إلى قومه .

١ - ينظر تفسير الزمخشري ٨ / ٢٩٥ .

٢ - الأيتان رقم ٣٠ ، ٣٩ .

قال أبو كثير - رحمه الله - في تفسيره دلتية (هذا إخبار من الله عن رجل من هذا الرجل الصالح مؤمن آل فرعون أنه حذر قومه بأس الله في الدين والآخرة فقال (يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب) أي الذين كتبوا رسل الله في قديم الدهر كقوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم من الأمم المكذبة كيف حل بهم بأس الله وما رده عنهم رداً ولا صده عنهم صداد وما الله يريد ظلماً للعباد (١) .

وقال صاحب التفسير المعبر في تفسيره دلتية (وقال الذي آمن يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب مثل رأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم) أي فقد حذر هذا الرجل المؤمن للصالح قومه بأس الله تعالى في الدنيا والآخرة ، فهذا بتعريف القدر الديني فقال يا قوم إني أخشى عليكم إني كتبتم موسى أن يصيبكم مثلما أصاب لأقوام الذين تعذبوا على أنبيائهم وكتبوا رسلهم من الأمم الماضية ، كقوم نوح وعاد وثمود ومن بعدهم كقوم لوط فقد حل بهم بأس الله ولم يجدوا لهم نصيراً يصرهم ، ولا حاصماً يحميهم وما الله يريد ظلماً للعباد أي لا يريد الله إلحاق ظلم عباده ، فلم يهلكهم بخوبهم وتكذيبهم رسوله ومخالفتهم أمره (١) .

الموضع السابع عشر في سورة الشورى

وهو قوله تعالى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوح والذي أوتيتك إليك وما وصيت به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه

١ - ينظر في تفسير أبو كثير ٨ / ٨٠ .

٢ - ينظر التفسير المنير ٢٤ / ١٦٦ تفسير المراغي ٨ / ٣١٣ .

كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنُعَذِّبَنَّهُمْ بِالْعَذَابِ الْعَظِيمِ الَّذِي لَهُمْ فِيهِمْ أَصْحَابُ الْإِيمَانِ (١)

الفرص : بيان أولوا العزم من الرسل

هي هذه الآية للكرامة وذكر الحق سبحانه وتعالى أولوا العزم من الرسل مبين لنا أن منهم واحد عند إرسال سبحانه أول رسول إلى الأرض وهو روح الله إلى أن أرسل عز اسمه آخرهم وحاتم الأنبياء محمد عليه الصلاة والسلام ، وذلك المبعوث هو إمامة الدين وهدى الخلق فيه .

وإنما خصهم الله سبحانه وتعالى وحدهم بالذكر لأنهم أكابر الأنبياء ، وأصحاب الشرائع العظيمة والأئمة الكثرية ، والدلائل عليهم لو لم يكرم من الرسل .

قال ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره الآية (يقول تعالى لهذه الأمة " شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك " فذكر أول الرسل بعد آدم عليه السلام وهو روح الله وأخبرهم وهو محمد ﷺ ثم ذكر من بين ذلك من أولي العزم وهم إبراهيم وموسى وعيسى بن مريم وهذه الآية اشتملت على الخمسة كما اشتملت في الأحزاب عليهم في قوله تبارك وتعالى : " وبذ أهلكنا من القبيحين مثلالهم ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم " الآية (١)

•

١ - آية رقم ١٢ .

٢ - الأحزاب آية رقم ٧ .

والدين الذي جاء به الرسل كلهم هو عبادة الله وحده لا شريك له كما قال عز وجل " وما ارسلك من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون " وفي الحديث " نحن معشر الأنبياء أولاد علات سيف واحد " (١)

أي الفخر المشترك بينهم هو عبادة الله وحده لا شريك له وإن اختلفت شرائعهم ومناهجهم كقوله جل جلاله ﴿ لَكُمْ شَرْعٌ مِنْكُمْ شَرْعٌ وَمِنْهُمْ ﴾ (٢)

لهذا قال تعالى ه هَذَا (أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَ لَا تَفْرَقُوا فِيهِ) أي وصي الله تعالى جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بالاعتلاف والجماعة و نههم عن الافتراق والاختلاف وقوله عز وجل (كبر على المشركين ما تدعوهم إليه) أي شي عليهم ولتذكروا ما تدعوهم يا محمد من التوحيد ثم قال جل جلاله ﴿ الْفُلُ يَنْتَهِى إِلَيْهِ مِنْ بَشَاءٍ وَيَهْدَى إِلَيْهِ مَنْ يَلُوبُ ﴾ (٣)

وقال الأستاذ المراشي - رحمه الله - هي تفسره الآية (شرع لكم من الدين ما وصي به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى) أي شرع لكم من الدين ما شرع لنوح ومن بعده من أبواب الفرائع ولومي العدم من الرسل وأمرهم به أمراً مؤكداً وتخصيص هؤلاء بالذكر لعنوا شأنهم وعضيم شهرتهم ولاستتماله قلوب الكفار إلى اتباعه . لاتفاق كلمة أكثرهم على بدوئتهم واختصاص اليهود بموسى ^{عليه السلام} ، وللتصدي يحيى ^{عليه السلام} ولا لكل نبي سامور به أمروا به من إقامة دين لإسلام وهو التوحيد وأصوب الفرائع ولأحكام ممايلاً يختلف باختلاف الأعصر كالإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة واكتساب مكارم الأخلاق وغايل الصفات .

- ١ - الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الفضائل باب الفضائل عيسى ^{عليه السلام} ١٨٣٧ / ٤ رقم ١٤٣ .
- ٢ - المائدة آية رقم ٤٨ ،
- ٣ - ينظر "تفسير ابن كثير" ١١١ / ٤

وهي الآية يسماء إلى أن ما شرعه الله صادر عن كامل العلم والقدرة
ولله دين قديم لجميع عليه الرسل (١) .

الموضع الثامن عشر : في سورة ق

وهو قوله تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهُ قَوْمَهُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرُّبُوعِ وَكَذَّبُوا
وَعَادَ وَفِرْعَوْنُ وَبَنُوا نُوحًا وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ ثَمُودَ كُلُّ كَذِّبٍ فَحَقَّ
وَعْدُ ﴾ (٢)

T الغرض : تهديد المشركين وتسلية الرسول

في هذه الآيات يحذر المولى تبارك وتعالى كل من مكة من العذاب الذي
سوف يصيبهم إن هم تمادوا في ضلالتهم وكفرهم وتكذيبهم رسول الله، كما أصاب
لؤلؤة السابقين الذين كتبوا رسلهم كقوم نوح، ومن جاء بعدهم، أهلكهم الله
بصنوف شتى من العذاب، وحق عليهم وعيده، وهذا تهديد بكل من قريش وتبليط
برسول الله T وقد ورد اسم نوح في الآية الكريمة مصالفاً إلى قومه .

قال الأستاذ عبد الكريم الخطيب في تفسيره للآية (والصمير في قتلهم
يعود إلى مشركي مكة وهو المخاطبون بالآيات السابقة، وفي هذه الآيات تعرض
عليهم صورة من حياة الماضيين الذين كانوا على ضلال كهؤلاء الضالين .

وقد حرصت عليهم من قبل آيات الله تجعل إليهم دلائل قدرتهم، وما أقام
عليهم وعلى العباد من نعمه ومنه، فإن هم لم ينظروا في هذه الآيات ويهتكموا إلى
الله ويؤمنوا به ويشكروا له، لنعدم الله بما أخذ به الضالين المكذبين قتلهم، فهم

١- ينظر : تفسير المراغي ٩ / ٢١ .

٢- الآيات ١٢ - ١٤

ليسوا أول من كذب بأبواب الله و بهت رسل الله وهم أن يحرجوا عن سعة الله التي
جلب في حد الضالين بظلمهم وإلزال البلاء بهم)^١

وقال الأستاذ المرعي رحمه الله في تفسيره للأية (بعد أن سكر تكذيب
المشركين للرسول. أردف ذكر المكذبين للرسول من قبله ويهيئ مآل إليه أمرهم .
سلبية برهونه وعبرة لهم وتنبيهها إلى أن حاله معهم كحال من تقدمه من الرسل
كذبوا فصبروا فأهلك الله مكبيهم ونصرهم وأعلى كلمتهم كما قال تعالى
(وَتَبَصَّرُنَّ إِلَهُ مِنْ بَصْرَةٍ)^(٢)

(وَتَبَصَّرُنَّ إِلَهُ مِنْ بَصْرَةٍ)^(٣)
لَهُمُ الْفَالِقُونَ)^(٤)

ويقول بعد ' كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود وخذ ود فرعون
وآخرون لوط وأصحاب الأيكة وقوم تبع كل كذب للرسل فحق وعهد

عهد سبحانه كفار فريش بما أحطه بأشبههم و نظرانهم من المكذبين قبلهم
من لئيم والعذاب الأليم في الدنيا والآخرة، فقد أشرق قوم نوح بالطوفان وأهلك
جميع من تكبروا بعدهم من الأمم التي كذبت رسلها بصروب شتى من العذاب،
وحق عنهم وعيده، وبصر رسله، وأعلى كلمتهم وكانت المواقبة لهم كما قال :
(إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا)^(٥)

١ - ينظر التفسير القرآني للقرآن ٧ / ٤٧٥ وما بعدها

٢ - سورة الحج آية رقم ٤٠

٣ - سورة الصافات الآيات ١٧١ ، ١٧٢ .

٤ - سورة طه آية رقم ٥١

٥ - ينظر ، تفسير المراغي ٩ / ٢٦٨

وهو قوله تعالى : ﴿ وَقَوْمِ نُوحٍ مِنْ قَبْلِ إِنْهُمْ كَفَرُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ (١)

الفرق : وصف قوم نوح بالفاسق .

ففي هذه الآية الكريمة يذكر الحق سبحانه وتعالى اسم نوح مضافاً إلى قومه . ثم يصفهم سبحانه بأنهم كانوا قوماً فاسقين . وقد جاءت هذه الآية الكريمة في نهاية الحديث من طائفة من قصص الأنبياء الذين كذبوا وعورسوا ، وهم لوط ، وموسى ، وهود ، وصالح . وقد أهلك الله أقوام هؤلاء الأنبياء كل بحسب ما قدر له من الهلاك ، ولم يذكر الله في هذه الآية ما أهلك به قوم نوح ولكنه اكتفى بالحكم عليهم بالفاسق الموجب للعقاب .

قال الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي في تفسيره للآية (ثم انتقلت السورة للكريمة إلى الحديث عن قصص بعض الأنبياء السابقين فبدأت بجانب من قصة إبراهيم عليه السلام مع الملائكة الذين جاءوا لبشرته بنبيه إسحاق ، وإخياره بإهلاك قوم لوط . ثم تحدثت السورة بعد ذلك عن جانب من قصص موسى وهود وصالح عليهم السلام مع أقوامهم ثم ختم بلمحة عن قصة نوح عليه السلام فقال { وَقَوْمِ نُوحٍ مِنْ قَبْلِ } أي أهلك قوم نوح من قبل هؤلاء جميعاً بالطوفان { إِنْهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ } أي خارجين عن طاعتنا مبغضين في الكفر والمصيان ، وهكذا منفتت السورة الكريمة جانباً من قصص هؤلاء الأنبياء ليكون في ذلك تسلية للنبي ﷺ وتذكير للمتكرين) (٢)

١ - آية رقم ٤٦

٢ - ينظر : التفسير الوسيط ١٤ / ٢٦ بتصرف

الموضع العشرون . في سورة النجم

وهو قوله تعالى : ﴿ وَقَوْمِ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ هُمْ أَظْلَمُ وَأَطْغَى ﴾ ١١

الفرق : وصف قوم نوح بالظلم و الطغيان .

ففي هذه الآية الكريمة يذكر الحق سبحانه وتعالى اسم نوح مضافاً إلى قومه، وذلك في معرض الحديث عن إهلاكه لعاد الأولى وثمود والمؤتفكات، مبرحاً لـ قوم نوح كانوا هم أظلم وأطغى .

قال الأسناد الدكتور / محمد سيد طنطاوي في تفسيره بلاية (وبعد هذه الجولة في الأسماء والألقاب سالت السورة جانباً من مصارع العبريين ، فقال : ﴿ وَقَوْمِ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ﴾ أي وإهلك أيضاً قوم نوح من قبل إهلاكه لعاد وثمود ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا ﴾ أي قوم نوح ﴿ هُمْ أَظْلَمُ وَأَطْغَى ﴾ أي هم كانوا فسد في الظلم والطغيان من عاد وثمود فقد أتوا نوحاً عليه السلام أدى شديداً، استمر عليه زمن طويلاً، وكان هلاكهم بالطوفان كما قال تعالى ﴿ فَالْكَذِبُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ (١) (٢)

الموضع الحادي والعشرون ، في سورة الحديد

وهو قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا الْقِتْلَةَ وَالْكَتَابَ فَهُمْ مَّشْتَبِهُونَ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ ٤

١ - آية رقم ٥٢ .

٢ - سورة العنكبوت آية رقم ١٤

٣ - ينظر : تفسير التوسيط ١٤ / ٨٧ .

٤ - آية رقم ٢٦

انفرد : بيان أن الله شرف نوحا وإبراهيم بالرسالة، وجعل النبوة في دربتهما .

ففي هذه الآية الكريمة يعطى المولى تبارك وتعالى أن نوح وإبراهيم قد شرفهما الله بالرسالة، ثم جعل للنبوة في دربتهما

فما نقول الله كتبنا، ولا أرسل رسولا، إلا وكس من أولادهما .

قال الرازي - رحمه الله - في تفسيره للآية (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النَّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ) وأعلم أنه تعالى لم يذكر أنه أرسل للناس بالبيوت والمعجزات، وأنه أنزل الميراث والحديد وأمر الحلق بأن يقوموا بمصرتهم أتبع ذلك بين سائر الأنبياء فلفي نعم بها عليهم، وبين أنه شرف نوحا وإبراهيم عليهما السلام بالرسالة، ثم جعل في دربتهما النبوة والكتاب فما جاء أحد بالنبوة إلا وكان من أولادهما، ولما فتم للنبوة على الكتاب لأن كمال حال النبي أن يصير صاحب الكتاب والشرع (١٠)

وقال صاحب التفسير المعين في تفسيره للآية (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النَّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ) أي نال الله لقد بعثنا نوحا أب البشر الثاني إلى نوحه، وإبراهيم خليل الرحمن لها الأنبياء ولها العرب إلى قوم آخرين، وجعلنا للرسالة والنبوة في دربتهما شكل الأنبياء من سلالتهما ، فلم يرسل الله بعدهم رسولا ولا نبيا إلا من دربتهما ، وكذلك جعلنا للكتاب السلسلة فيهما ، فلم يرسل الله كتبنا ولا لوحى إلى بشر وحي إلا من سلالتهما

١٠

« تسبهم مهتد وكثير متهم فاسقون » أي كل مصير الذرية لا تنقسم إلى هريقين. فبعض جماعة مهتدون إلى الحق وإلى الصراط المستقيم وكثير منهم خارجون عن حدود الله وطاعته، وذلك نسبة الله مع لانياء جميعاً (١١)

الموضع الثاني والعشرون : في سورة التحريم

وهو قوله تعالى « ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادك صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل انهما لمع الذالحين » (١٢)

الفرعون وبني ن للكنز بالله يدخل صاحبه النار، ولا ينفع معه شفاعته .

ففي هذه الآية الكريمة بين الحق سبحانه وتعالى أن امرأة نوح وامرأة لوط روجها بالإعصيان عن رسالته ومساعدة الناس على الفساد عن دعوه ثم ينصها روجها مع انه نبي الله ورسوله بل قيل لها وشربكتها في الكفر امرأة لوط انحلا لئلا مع الذالحين .

قال الزمري - رحمه الله - في تفسيره ملأية (فلوثة) ضربت الله مثلاً) أي بين حالهم بصريفة الممثل أنهم يعاقبون على كفرهم وعدوانتهم للمؤمنين معاقبة مثلهم من غير انقاء ولا محابة، ولا ينفعهم مع عدوانهم بدم من كان عليه من القرابة بينهم و بين نبيهم وإبكارهم للمسلمين فيما جاء به من عند الله وإجراهم عليه وقطع العلائق، وجعل الأقارب من جملة الأجانب بل أبعد منهم، وإن كان للمؤمن الذي يتصل به الكافر نبي كحال امرأة نوح ولوط، لما خفناهما ثم يغن هذا الرسول لهما، وقيل بهما في اليوم الآخر (فدخل النار)

١ - يظفر : للتفسير للعنبر ٢٧ / ٣٣٢ .

٢ - به رقم

١٠٠ - قصص نوح عليه السلام

وَأَمَّ صَرْبَ الْمَثَلِ بِأَمْرِ نوحَ الْمَسْمُومِ بِوَاعِظَةٍ وَامْرَأَةً لُوطَ الْمَسْمُومِ بِوَعْدِهِ .
فَمَشْتَمَلٌ عَلَى هَوَائِهِ مُتَعَدِّدَةٌ لَا يَمُرُّ بِهَا إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى

منها - لَنُكَلِّبَهُ لِلرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ عَلَى الْفُتُوحِ الْعَظِيمِ وَالْعَذَابِ الْأَلِيمِ .

ومنها - الْعِلْمُ بِلِ صِلَاحِ الْغَيْرِ لَا يَنْفَعُ الْمَصْدُوقَ وَغَسَادُ الْغَيْرِ لَا يَصْرِ الْمَصْلُوحَ

ومنها : لَنْ الرَّجُلَ وَإِنْ كَانَ فِي غَايَةِ الصِّلَاحِ فَلَا يَأْمَنُ الْمَرْأَةُ وَلَا يَأْمَنُ
نَفْسُهُ كَالْمَصَادِرِ مِنْ أَمْرَاتِي نوحَ وَلُوطَ (١١)

وقال الأستاذ المراغي - رحمه الله - في تفسيره ملكة (أي صرب الله
مثلا يبين به حال الكافرين الذين هم ينتقمون بعذاب المؤمنين للصالحين من الذين
والمرسلين، لظلمة قلوبهم وسوء امتداداتهم وغشائهم فطرتهم، امرأة نوح وامرأة
لوط، إذ كانتا في عصمة نبيين يمكنهما أن ينتقم بهنهم ويحصلن ما فيه
سماتتهما في معاشتهما ومعادتهما لكنهما أبدا بذلك وصلتا ما يدل على الخيانة
والكفر، فانتهمت الأولى زوجها بالجنون، وكانت الثانية ترشد قوم لوط إلى سوءاته
لما رُب غيبته، فلم ينفخ عنهما فربهما من ذلك العبد الصالحين شيئا وحقق
بهما سوء ما فعلتا وسجل بهما عقاب الله، وسيطخان النار في مرة داخلين
خبراء وغالبا لما اجترحا من المنكرات، وما بسنا به أنفسهما من كبر الأثام وعظيم
المعاصي (١٢)

هذه هي المواضع التي ذكر فيها اسم نبي الله نوح مجردا من غير ذكر
لأخبره أو لأخبار قومه بالتقصير وقد رأينا أنه في كل موضع من هذه المواضع
عرضا دينيا وفائدة ليست في خبره من المواضع الأخرى حتى نعلم أن اسم نبي
الله نوح لم يكرر في القرآن هتأ بل كان وراء ذلك هدفا ومرا ينبغي أن يتنبه له
لولا الأخصار،

١ - بطر - تفسير الرازي ١٥ / ٤٤ وما بعده يتصرف .

٢ - ينظر : تفسير المراغي ١٠ / ١٤٢ .

الفصل الثالث

من أسرار التفريل في قصة نوح عليه السلام

للمنازل هي الآيات الكريمة التي وريت في قصة نوح عليه السلام. وفي السور التي وريت فيها بعد من فيها بعض الآيات قد تكررت وألفاظها متتمة ولكن وقع في بعضها زيادة أو نقصان أو تقديم أو تأخير، أو بدل حرف مكان حرف، مما يوجب اختلافا بين الآيتين أو الآيات التي تكررت من غير زيادة أو نقصان.

وسوف أذكر في هذا الفصل تلك الآيات التي تكررت وألفاظها متتمة، ثم أبين السبب الموجب للزيادة والنقصان، والتقديم والتأخير والإبدال، وما الحكمة في تخصيص الآية بذلك دون الأخرى، وهل كان يصلح ما في هذه السورة مكان ما في السورة التي تشاكلها أم لا ؟ ليجري منك مجرى علامات تزيل أشكالك وتمتاز بها على أشكالك لأن العلماء رحمهم الله - هدو ذلك وجه من وجوه إعجاز القرآن وسر من أسره لا يدرك إلا بعمق الفهم والتدبر لأبواب القرآن الكريم.

ومع آيات الكريمة الواردة في قصة نوح عليه السلام ننصيق عليها هذا الكلام :

أولاً : ورد في كل من سورة هود والمؤمنون والمغذيات قوله تعالى ﴿ وَنَحْنُ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ ﴾ بالو ن في كل آية. وجاء في سورة الأعراف قوله عز وجل ﴿ نَحْنُ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ ﴾ ^(١) بدون الواو.

هود آية رقم ٧٥ المؤمنون آية رقم ٧٣ المغذيات آية رقم ١٤

٢ - الأعراف آية رقم ٥٩

والسر في ذلك .

لن العصب في كل من سورة المؤمنون، والحنكوت، ونضح صبعة لوجود ما يصحح المعطى عليه، هي سورة للمؤمنين سبق نظير لهذا التركيب أعنى قوله عز وجل ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سكاية من طين ﴾ ^(١) وقوله ﴿ ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق ﴾ ^(٢) وفي سورة الحنكوت جاء صطف القصة المذكورة على قوله تعالى : ﴿ ولقد قلنا للذين من قبلهم ﴾ ^(٣) .

وفي سورة هود كان التماس بين قصتي نوح والحديث عن كفره مكة ومؤثرون بالفقران بالقرآن مما سبق به صدر الرسول T مما جور العصب بين الحديثين، فكان السورة تقو لقد وقع لك هذا، ولقد وقع لنوح مثله .

لأن في سورة الأعراف بين السابق المباشر على قصة نوح كالتخريب عنها من حيث إنه كان مضمحضا يذكر آيات الله الكونية لوقع الاستئناف بالقصة بدون ولو وإن كان ذلك لا يدل بالمباشرة، والروابط بين القصة وسبقها في المعاني العامة الكلية في مجال الهداية والدعوت إلى الله ^(٤) .

قال الخطيب الاسكافي - رحمه الله - (للممثل أن يسأل عن حذف اللو من { لقد أرسلنا } في هذه السورة " الأعراف " و الإتيان بها في سورتي هود والمؤمنون ^{٥٢} .

١ - المؤمنون آية رقم ١٢

٢ - المؤمنون آية رقم ١٧ ،

٣ - سورة الحنكوت آية رقم ٣ ،

٤ - ينظر : ملامح بلاغية في سورة المؤمنون د / محمود عبد المجيد ص ٩٠

الجواب : أن يقال أن الآيات التي تقدمت قوله { لقد أرسلنا نوحاً } هي هذه
 للسورة الأعراف إلى أن اتصلت به هي وصف ما احتضر الله به من أحداث
 خلقه والمبادئ من فعله من حيث قال : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ
 وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ ١ إلى أن ذكر للشمس والقمر والرياح والذباب
 والأمطار والسهل من الأرض الطيب والحزن منها للصلابة ولم يكن فيها ذكر
 بعنه مبي ومخالفة من كان له عدو. فصار كالأجنبي من الأول هم يعطف عليه
 ويسوّف بعده كلام لئلا على أنه في حكم المنقطع من أوله. وبهذا كذلك الآية
 في سورة هود لأن أولها انتج إلى قصة نوح بما هو يحتاج على الكفار بآيات
 الله التي أظهرها على أيدي أنبيائه وألستهم بسواك الله على جماعتهم. وتوعد
 لهم على كفرهم وبكر قصة من قصص من تقدمهم من الأنبياء الذين جحد آياتهم
 لهم. فعطف هذه الآية على ما قبلها إذ كانت مثلها ألا ترى أن أول السورة ﴿
 إِنْ كُنْتُمْ أَحْكَمْتُمْ آيَاتُهُ ثُمَّ أَفْضَلْتُمْ مِنْ تَدْنٍ حَكْمِمْ خَيْرٌ إِلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ
 مُنْتَهَىٰ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴾ ٢.

وبعد العشر منها ﴿ فَتَعَلَّكَ تَارِكًا بَخْسٍ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ
 أَنْ يَقُولُوا تَوَلَّىٰ تَوَلَّىٰ تَوَلَّىٰ عَلَيْهِ كُنْ ﴾ ٣ إلى قوله ﴿ فَأَتُوا بِمِثْرٍ مِثْرَهُ
 مُفْتَرِيَاتٍ ﴾ ٤ ثم وصف حال من آمن بالله ورسوله وأخبت إلى ربه وحال من
 افتري على ربه وحصل على خسائر نفسه. وشبههم في قوله بحال من انطوى

١ - آية رقم ٥٤ .

٢ - سورة هود آية رقم ١ .

٣ - سورة هود آية رقم ١١ .

٤ - سورة هود آية رقم ١٢ .

على نكره (مثل تفريق كالأغص والأصم والبصير والتشيع هل يستويان مثلاً) (١) فاقضى تشبه القصص عطف الثانية على الأولى

ولما في سورة المؤمنون فإن قول هذه الآية منها (ولقد خلقنا الإنسان من مسالة من طين) (٢) ثم قوله (ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين) (٣) ثم لتقطع الآية إلى قوله تعالى : (وعظيها وعلى ففلك تحمئون) (٤) فكان ما تقدم في هذا المكان مثل ما تقدم الآية في سورة الأعراف إلا أنه بابه بأن كان فيه (ولقد خلقنا الإنسان) . وقوله : (ولقد خلقنا لولكم) ثم لتقطع إلى قوله : (وعظيها وعلى ففلك تحمئون) والملك التي تحمل عليها مما اتعده نوح عليه السلام، فذهب ولو العطف في قصة نوح للفظتين المتقدمتين وحب (ولقد خلقنا الإنسان) رؤوس الأثنين، وللمعنى المقتضى من ذكر الملك الذي نهي الله عليه من جمعه لصل الخلق وبسر هذا التمثل (٥)

وقال الكرماني قوله : (لقد أرسلنا نوحاً) في هذه السورة بغير واو وفي هود والمؤمنون "ولقد" بالواو لأنه لم يفتح في هذه السورة ذكر رسول، فيكون هذا عطفاً عليه، بل هو مستأنف كلام .

→

١ - سورة هود آية رقم ٢٤

٢ - سورة المؤمنون آية رقم ١٢

٣ - سورة المؤمنون آية رقم ١٧

٤ - سورة المؤمنون آية رقم ٢٢

٥ - ينظر : نرة للتبريل للاستكفي ص ١١٩ وما بعدها

وفي هود تقدم ذكر الرسول مر لث، وفي المؤمنون تقدم ذكر نوح صمد على قوله ﴿ وَعَلَى قَتْلِكَ ﴾ لأنه أول من صيغ القتلك فعطف في سورتين بالواو ^١

ثانياً جاء في سورة الأعراف والمؤمنون قول نوح ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ ^(٢) وفي سورة هود وفي قصة نوح أيضاً جاء قوله بقومه ﴿ لَنْ لَا تَجِدُوا إِلَّا اللَّهَ ﴾ ^(٣)

والسر في ذلك :

الأول : طريقة صناعية تدبراً في استعمال طريق القصر في التركيبين للقرآنيين فالتركيب الوارد في سورة الأعراف والمؤمنون جاء قوله : ﴿ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ وقد اشتمل على قصر بطريق النفي والاستثناء عليه غير وهي بمعنى " ألا " مع حرف النفي المنقلم " ما "، وفي قوله ﴿ لَنْ لَا تَجِدُوا إِلَّا اللَّهَ ﴾ فيه نفي (لا) وهي بمعنى النفي مع وجود " ألا " فطريق القصر في التركيبين واحد ، قصر موصوف على صفة في الأول، وقصر صفة على موصوف في الثاني، مما جعل للعبارتين نصاً في الدعوة إلى التوحيد .

الثاني : طريقة معنوية، وتبدو في أن الرسل كان لهم حيال لقومهم دعوات متكررة وأقوال متعددة والحكاية في لقصة قرآنية هي لها حكاية الجائنة بمضمونها فهي ترمي إليه، دون التزلم بالتركيب للنصي الوارد على لسان رسول من السابقين، فالحكاية تتنوع وتنفذ في تركيب و العبارات حسب مقتضيات الأحوال. فما في سورة الأعراف جاء على الأصل، وما في سورة هود جاء

١ - ينظر . البرهان في توجيه مشابه القرآن للكرمانلي ص ١٢٠ ، ١٢١ .

٢ - لأعراف آية رقم ٥٩ . للمؤمنون آية رقم ٢٣

٣ - هود آية رقم ٢٦

بصيغة الفصحى المناسبة ما سبق على لسان خاتم المرسلين **T** « أَلَا تَتَّقُونَ اللَّهَ الَّذِي يَخْلُقُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَيُخَوِّضُكُمْ فِي الْمَوَاطِنِ » (١)

ونظير ذلك ما جاء في ختام الآية الأولى من القصة، وهي سورة الأعراف كان ختام الآية قول الرسول لقومه « إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ » (٢) وهي سورة يونس جاء قول الرسول لقومه « قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ » (٣)

وفي سورة هود جاء قول الرسول لقومه « إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ » (٤).

وفي سورة المؤمنون جاء قوله « أَلَمْ لَا تَتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي هُوَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَهْرَيْ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا » (٥) ولم تذكر سورة العنكبوت قول شيء على لسان الرسول فكانها تحكى أمر. وقع دون كلام الله جاء فيها قوله : « وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِنْ أَعْثَرْتَ فِيهِمْ خَمْسِينَ عَامًا فَأَعَزَّهُمُ الطَّوْفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ فَالْتَجِئُوا وَأَصْحَابُ السُّفِينِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ » (٦)

١ - سورة هود آية رقم ٢

٢ - سورة الأعراف آية ٥٩

٣ - سورة يونس آية رقم ٢١

٤ - سورة هود آية ٢٥ .

٥ - سورة المؤمنون آية ٢٣ .

٦ - سورة الشعراء الآية ١٠٦ - ١٠٩

٧ - سورة العنكبوت الآية ١٤ / ١٥

وسر ذلك أن الرسائل خطاباً متعددة ومختلفة وقد سلك إلى بداية قومه كل سبيل فالتعليم مرة والتخويف مرة، ويبرهن أنه لا حاجة إلى أجر في نظير تعليمه لهم مرة إلى غير ذلك من الأساليب^(١).

ويقول الخطيب الاسكافي - رحمه الله (للسائل أن يسأل عن مختلف المحكيات كقوله بعد { ما لكم من إله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم } [وإني أخاف عليكم عذاب يوم أليم] وفي المؤمنين { ما لكم من إله غيره أفلا تتقون } وقصة قصة واحدة .

الجواب أن يقال للأنبياء معاصمت مع أنفسهم يكون فيها الأهدر والإنذار، ويرجع فيها عود على بدء الوعد والوعيد، ولا يكون دعوتهم إلى الإيمان بالله ورأس عبادة ما سوى الله في موقف واحد بلفظ واحد لا يتغير عن حاله، بل الواضع يتنقل في مقالته، والجادد للمكر تختلف أجوبته في مواقفه فهذا جادد المحكيات على اختلافها، وبجانب وقد اختلف في الأصل بالتأليف، لأنه قال لهم مرة باللفظ الذي حكى، ومرة بلفظ آخر في معناه كما نكر، وكذلك الجواب يرد من ألوم يكتو عدهم ويختلف كلامهم ومقصدهم، وصنق الخبر بتداول الشيء على ما كان عليه فلا وجه إذا للاعتراض بهذا وسواء^(٢)

ويقول البقاعي - رحمه الله - في نظم الدور في تفسير قوله تعالى { إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم } من سورة الأعراف يقول ولعله قال هذا عذاب يوم عظيم وفي هود { أليم } وقال في المؤمنين " أفلا تتقون " لأن ترتيب السورة ثلاث وإلى كان الصحيح أنه بأجتهاد الصحابة رضي الله عنهم^(٣)

١ - ينظر ملاح بلاغية في سورة المؤمنين ص ٩١ بتصرف

٢ - ينظر : حرة التكريل للاسكافي ص ١٥١

٣ - هذا من وجه نظر البقاعي رحمه الله ، وإلى كين الصواب خلاف ما ذكر

طعنه جاء على ترتيبها في النزل ، لأنها مكيات .

و على ترتيب مقادير نوح عليه السلام لهم ، فالأول لهم أولاً المعال من حيث إنه أوهم أن العظيم الموصوف به اليوم لا يمسبب العذاب بل لأمر آخر

فيصير العذاب مطلقاً يتناول أي عذاب كان ولو قل ، فلما نادى تكذيبهم بهم لهم أن عيظهم إنما هو من جهة إيلام العذاب لواقع فيه ، فلما لجو في عثرهم قل لهم قول القدر إذ همد عند مخالفة غيره له ألا نقول له ؟ أي متى خالفت بعد هذا عاجلتك بالعقاب وأنت تعرف قدرتي^(١)

ثالثاً : جاء في سورتي هود و المؤمنون قوله تعالى ﴿ قُلْ قُلُوبُ النَّاسِ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ ﴾^(٢)

فقد وصف للملأ بالكفر في المؤمنون .

رابعاً : جاء في سورة الأعراف قوله : ﴿ قُلْ قُلُوبُ النَّاسِ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ ﴾^(٣) من غير وصف بالكفر .

والسر في ذلك يرجع إلى أنه لم ينكر من سعادتهم في سورة الأعراف إلا قولهم : ﴿ إِنْ لَنْتَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾^(٤) و الضلال الذهاب عن طريق الصواب مطلقاً فهي كلمة واسعة للمعنى المنتشرة الواقع لا تكون نصاً في الكفر ، من بين سكرت عليهم سورتي هود والمؤمنون ما ينصر على وصفهم بالكفر إذ جاء على لسان القوم قولهم ﴿ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ

١ - ينظر : نظم الدرر ٣ / ٤٧ ، ٤٨

٢ - هود آية رقم ٢٧ ، المؤمنون آية رقم ٢٤

٣ - سورة الأعراف آية رقم ٦٠

٤ - سورة الأعراف آية رقم ٦٠

شء الله لأتزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آياتنا الأولين إن هو إلا رجل به جنّة
فترتبوا به حتى حين) ٢١ فقد نفوا عنه الرسالة بوصفه بصفت ظنوا قد تنفي
الرسالة (البشرية والمثلثة) وبصفات ليست فيه بشيائهم (حب الظهور
والتمالي، والجنون) والدعوى أن انتقد الرسالة في السابقين من الناس إلى من
سبقهم من الناس يعني أنه لا رسالة ودعاهوا بالصبر عليه حتى يظهر الله
صحة قولهم فيه أو حتى يموت، ما كل ذلك إلا تكويع في الكفر، دعا إلى مبدعة
الآية إلى وصفهم بذلك الكفر من لوب الأمر، وليس هذا شأن سورة الأعراف فتني
تكرت عن القوم وقوفهم عند وصف الرسول بالصلا، ودفاع الرسول عن تلك
الوصف ببيان أنه رسول رب العالمين جاء يبلغ الناس رسالة الله .

وإن كانت سورة الأعراف قد ذكرت دفاع الرسول عن المثلثة في قوله
تعالى : ﴿ أَوْحَيْنَا أَنْ جَاءَكُمْ نَقْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا
وَلِتَعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُّرْضَوْنَ ﴾ ٢٢ مما يوحي بأن القوم يعترضون على المثلثة، لكن ذلك
الاعتراض، لم يذكر صراحة مما جعل للدفاع عنه مقصوراً على الأمر بالتقوى
رجاء نزول للرحمة بالقوم، بعد لم تنف سورة الأعراف على الوصف بالكفر
كالذي كان في سورة المؤمنون التي كان لها من المبررات ما بين .

أما سورة هود فقد جاء فيها على السنة للملأ للكافرين قولهم ما نزال
ننذرك إلا الذين هم أرذلنا بأي الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل نلنكم
كاذبين ٢٣ .

١ - سورة المؤمنون (الآيات ٢٤ - ٢٥)

٢ - آية رقم ٦٣

٣ - هود آية رقم ٢٧ .

١- ثلاثيات في تصانوح عليه السلام ﷺ

فقد نطق القوم بالبشرية والمثلية على ما جاء في سورة المؤمنين ورائدوا
اعتراض بأن المتبعين من صحاب القوم لا من أشرفهم. وما اجتماع الضعفاء على
حق في نظر القوم بل إن اجتماع الضعفاء لا يكون إلا على باطل مدعواهم
كذابة، لئلا كان دفاع الرسول عن هذه التهم متنوعة، فمرة يقول : لا قدرة لي على
هدية قوم أعصى الله بهدائهم عن رؤية الحق الذي بعث الله به رسوله، وقد أمرهم
بعد الإكراه على إتباع منهجهم .

وثانية يقول : ما حيلاني وقد اتبعني للضعفاء وهل يليق بي مدعهم من إتباع
الحق لكونهم ضعفاء ومن سألتمكم أجرا على دعوتي لتتبعوه .

وثالثة يقول : لا علم بي بالغيب ولا أنا أملك خزائن الله ولا أنا بالذي يهرق
بين المدعوين ولا أنا بالمنكر على أحد إتباعه منهج الله، فلما كان الاعتراض
متعدد الجوانب، وكانت الردود متنوعة الأهداف كان لا محالة أن عاجبه الآيات
بوصف القوم بالكفر كالذي سلكته سورة المؤمنين وما يحالف منهج سورة
الأعراف .

وبشبه منهج لاختصار في سورة الأعراف ما جاء في سورة الشعراء من
مثل قوله تعالى ﴿ قَالُوا آمَنُوكَ وَاتَّبَعُكَ الْكَافِرُونَ قَالُوا وَمَا عَفَى بِمَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ إِنَّ جَسَابَهُمْ إِنَّا عَلَى رَبِّنَا نُوْتَشَعَّرُونَ وَمَا أَنَا بِظُحْرِ الْعُومِينَ إِنَّ أَنَا
إِنَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ ١١٠

اعتراض بشيء واحد، وجواب بثلاثة أشياء :

١- لئلا مهمة الرسول أن ينظر في ماض القوم، بل ليعلم أنهم آمنوا به

لأن



١ - الشعراء الآيات ١١١ - ١١٥

٢ أن الله وحده سيجيب الناس وليس من شأن الرسول أن يصح أحداً جاء يهتدي إلى وحى الله .

٣- مهمة الرسول هي لبلاغ نوره شيء آخر .

فقد كان الاعتراض مختصراً كالجواب على حد ما جاء في سورة الأعراف سائفة النكر (١)

وأيضا في سورتي هود و المؤمنون بدأ رد الملأ معسرا يعرف الفاء في قوله تعالى : ﴿ قُلْ لِّمَلَأُ ﴾ (٢) في السورتين، بينما كان الرد في سورة الأعراف عارفاً عن هذا الحرف في قوله تعالى : ﴿ قُلْ لِّمَلَأُ ﴾ (٣)

والمر في تلك :

أن حرف الفاء حذف من الأعراف لأن المذكور فيها عن الملأ في ردهم نون مختصر فكان الحذف بالمختصر أنسب، على حين ذكر للحرف في هود والمؤمنون لأن المذكور عن الملأ فيه طوياً وبطلاب لذكر للحرف به أنسب .

وقريب من ذلك ما يقال من أن المذكور عن الملأ في الأعراف سبعة من غير شبهة يعتمد عليها المجيب في ردة مما يجعل الجواب به لا علاقة له بالسؤال .

لما الرد في سورتي هود والمؤمنون فله شبهة اعتمد عليها المجيب في ردة كحديث البقرة والتمنية واتهام الرسول ومطالبتة بما ليس في طاقة البشر

١ ينظر : ملامح بلاغية في سورة المؤمنون ص ٩٣ .

٢ - هود آية رقم ٢٧، المؤمنون آية رقم ٢٤

٣ - الأعراف آية ٦٠ .

أن يصحوه مما يجعل الجواب دأ صلة بالسؤال. إذ كانت الفاء هي الثاني دون الأول .

قال الخطيب لامكاني - رحمه الله - (للسائل أن يسأل فيقول لأي معنى خلعت في سورة الأعراف من الفاء وقد جاء مثله في قصورتين بالفاء وهو فقال : الجواب أن يقال في الموضعين اللذين دخلتهما الفاء ما بعدها مما اقتضاه كلام النبي **T** من رواه الكفار جونا له، فكان بناء الجواب على الابتداء بوجوب دخول فاء، وليس كذلك الآية في سورة الأعراف لأنهم في جوابهم صبروا كالمتبكتين له بالجماع غير سالكين طريق الجواب، لأنهم قالوا { إنا نراك في صلال مبين } قال يا قوم ليس بي صلالة فكان كلامهم به كالكلام الذي يبتدئ به الإنسان صاحبه، فذلك جاء بطريق فاء مخالفاً ما الكلام بعده مبني بناء الجواب ؟ ومما أخرج من الأجوبة مخرج الابتداء بالكلام وفي كل في صممه الجواب مثل قوله تعالى ﴿ وَمَا جَاءَتْهُمْ مِنْكُمْ بِرَبِّكُمْ فَاسْتَكْبَرُوا فَمِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ زَكْرِيَّا إِذْ هُوَ نَذَلَ عَلَيْهِ الْمِيقَاتِ فَوَجَدَهَا غَيْثًا يُغْلِي غَلَلَهُ فَتَبَايَعُوا بِهَا فَمَنْ ذَا الْقُرْبَىٰ لَكُمْ إِذَا جَاءَ الْغُلَامُ يَبْتَغِي كَرَاهِيَّ آبَائِكُمْ إِذْ بَيَّغَتْ عَلَيْهِمُ الْغُلَامُ فَتَضَعُوا إِلَيْهِ الْأَكْفَادَ فَيَكُونُوا لَهُمْ عِبَادَ فَوَجَدَا فِيهَا رَحِيمًا فَقَالُوا نَحْنُ نَكْتُمُ الصَّغِيرَ وَالْكَبِيرَ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الْقُرْآنِ فَانْتَقِبُوا فِيهِ مِنْهُ قَدْ عَلِمْنَا بِهَذَا الْقُرْآنِ أَنَّكَ أَنْتَ الْمَلَكُ الْكَافِي فَغُلِبَ عَلَيْهِمُ الْقُلُوبُ فَنَجَّيْنَاهُ مِنْهُمْ وَفَعَلْنَا بِنُوحٍ إِذْ دَعَا إِلَىٰ فِتْنَةٍ أَنْ يَرْجِعَ إِلَىٰ آلِهِ لِيَتَوَكَّلَ عَلَىٰ اللَّهِ وَيَكْفُرُ عَنْهُمْ وَهُمْ كَذَبُونَ ﴿ ١٠٠ ١٠١ ١٠٢ ١٠٣ ١٠٤ ١٠٥ ١٠٦ ١٠٧ ١٠٨ ١٠٩ ١١٠ ١١١ ١١٢ ١١٣ ١١٤ ١١٥ ١١٦ ١١٧ ١١٨ ١١٩ ١٢٠ ١٢١ ١٢٢ ١٢٣ ١٢٤ ١٢٥ ١٢٦ ١٢٧ ١٢٨ ١٢٩ ١٣٠ ١٣١ ١٣٢ ١٣٣ ١٣٤ ١٣٥ ١٣٦ ١٣٧ ١٣٨ ١٣٩ ١٤٠ ١٤١ ١٤٢ ١٤٣ ١٤٤ ١٤٥ ١٤٦ ١٤٧ ١٤٨ ١٤٩ ١٥٠ ١٥١ ١٥٢ ١٥٣ ١٥٤ ١٥٥ ١٥٦ ١٥٧ ١٥٨ ١٥٩ ١٦٠ ١٦١ ١٦٢ ١٦٣ ١٦٤ ١٦٥ ١٦٦ ١٦٧ ١٦٨ ١٦٩ ١٧٠ ١٧١ ١٧٢ ١٧٣ ١٧٤ ١٧٥ ١٧٦ ١٧٧ ١٧٨ ١٧٩ ١٨٠ ١٨١ ١٨٢ ١٨٣ ١٨٤ ١٨٥ ١٨٦ ١٨٧ ١٨٨ ١٨٩ ١٩٠ ١٩١ ١٩٢ ١٩٣ ١٩٤ ١٩٥ ١٩٦ ١٩٧ ١٩٨ ١٩٩ ٢٠٠ ٢٠١ ٢٠٢ ٢٠٣ ٢٠٤ ٢٠٥ ٢٠٦ ٢٠٧ ٢٠٨ ٢٠٩ ٢١٠ ٢١١ ٢١٢ ٢١٣ ٢١٤ ٢١٥ ٢١٦ ٢١٧ ٢١٨ ٢١٩ ٢٢٠ ٢٢١ ٢٢٢ ٢٢٣ ٢٢٤ ٢٢٥ ٢٢٦ ٢٢٧ ٢٢٨ ٢٢٩ ٢٣٠ ٢٣١ ٢٣٢ ٢٣٣ ٢٣٤ ٢٣٥ ٢٣٦ ٢٣٧ ٢٣٨ ٢٣٩ ٢٤٠ ٢٤١ ٢٤٢ ٢٤٣ ٢٤٤ ٢٤٥ ٢٤٦ ٢٤٧ ٢٤٨ ٢٤٩ ٢٥٠ ٢٥١ ٢٥٢ ٢٥٣ ٢٥٤ ٢٥٥ ٢٥٦ ٢٥٧ ٢٥٨ ٢٥٩ ٢٦٠ ٢٦١ ٢٦٢ ٢٦٣ ٢٦٤ ٢٦٥ ٢٦٦ ٢٦٧ ٢٦٨ ٢٦٩ ٢٧٠ ٢٧١ ٢٧٢ ٢٧٣ ٢٧٤ ٢٧٥ ٢٧٦ ٢٧٧ ٢٧٨ ٢٧٩ ٢٨٠ ٢٨١ ٢٨٢ ٢٨٣ ٢٨٤ ٢٨٥ ٢٨٦ ٢٨٧ ٢٨٨ ٢٨٩ ٢٩٠ ٢٩١ ٢٩٢ ٢٩٣ ٢٩٤ ٢٩٥ ٢٩٦ ٢٩٧ ٢٩٨ ٢٩٩ ٣٠٠ ٣٠١ ٣٠٢ ٣٠٣ ٣٠٤ ٣٠٥ ٣٠٦ ٣٠٧ ٣٠٨ ٣٠٩ ٣١٠ ٣١١ ٣١٢ ٣١٣ ٣١٤ ٣١٥ ٣١٦ ٣١٧ ٣١٨ ٣١٩ ٣٢٠ ٣٢١ ٣٢٢ ٣٢٣ ٣٢٤ ٣٢٥ ٣٢٦ ٣٢٧ ٣٢٨ ٣٢٩ ٣٣٠ ٣٣١ ٣٣٢ ٣٣٣ ٣٣٤ ٣٣٥ ٣٣٦ ٣٣٧ ٣٣٨ ٣٣٩ ٣٤٠ ٣٤١ ٣٤٢ ٣٤٣ ٣٤٤ ٣٤٥ ٣٤٦ ٣٤٧ ٣٤٨ ٣٤٩ ٣٥٠ ٣٥١ ٣٥٢ ٣٥٣ ٣٥٤ ٣٥٥ ٣٥٦ ٣٥٧ ٣٥٨ ٣٥٩ ٣٦٠ ٣٦١ ٣٦٢ ٣٦٣ ٣٦٤ ٣٦٥ ٣٦٦ ٣٦٧ ٣٦٨ ٣٦٩ ٣٧٠ ٣٧١ ٣٧٢ ٣٧٣ ٣٧٤ ٣٧٥ ٣٧٦ ٣٧٧ ٣٧٨ ٣٧٩ ٣٨٠ ٣٨١ ٣٨٢ ٣٨٣ ٣٨٤ ٣٨٥ ٣٨٦ ٣٨٧ ٣٨٨ ٣٨٩ ٣٩٠ ٣٩١ ٣٩٢ ٣٩٣ ٣٩٤ ٣٩٥ ٣٩٦ ٣٩٧ ٣٩٨ ٣٩٩ ٤٠٠ ٤٠١ ٤٠٢ ٤٠٣ ٤٠٤ ٤٠٥ ٤٠٦ ٤٠٧ ٤٠٨ ٤٠٩ ٤١٠ ٤١١ ٤١٢ ٤١٣ ٤١٤ ٤١٥ ٤١٦ ٤١٧ ٤١٨ ٤١٩ ٤٢٠ ٤٢١ ٤٢٢ ٤٢٣ ٤٢٤ ٤٢٥ ٤٢٦ ٤٢٧ ٤٢٨ ٤٢٩ ٤٣٠ ٤٣١ ٤٣٢ ٤٣٣ ٤٣٤ ٤٣٥ ٤٣٦ ٤٣٧ ٤٣٨ ٤٣٩ ٤٤٠ ٤٤١ ٤٤٢ ٤٤٣ ٤٤٤ ٤٤٥ ٤٤٦ ٤٤٧ ٤٤٨ ٤٤٩ ٤٥٠ ٤٥١ ٤٥٢ ٤٥٣ ٤٥٤ ٤٥٥ ٤٥٦ ٤٥٧ ٤٥٨ ٤٥٩ ٤٦٠ ٤٦١ ٤٦٢ ٤٦٣ ٤٦٤ ٤٦٥ ٤٦٦ ٤٦٧ ٤٦٨ ٤٦٩ ٤٧٠ ٤٧١ ٤٧٢ ٤٧٣ ٤٧٤ ٤٧٥ ٤٧٦ ٤٧٧ ٤٧٨ ٤٧٩ ٤٨٠ ٤٨١ ٤٨٢ ٤٨٣ ٤٨٤ ٤٨٥ ٤٨٦ ٤٨٧ ٤٨٨ ٤٨٩ ٤٩٠ ٤٩١ ٤٩٢ ٤٩٣ ٤٩٤ ٤٩٥ ٤٩٦ ٤٩٧ ٤٩٨ ٤٩٩ ٥٠٠ ٥٠١ ٥٠٢ ٥٠٣ ٥٠٤ ٥٠٥ ٥٠٦ ٥٠٧ ٥٠٨ ٥٠٩ ٥١٠ ٥١١ ٥١٢ ٥١٣ ٥١٤ ٥١٥ ٥١٦ ٥١٧ ٥١٨ ٥١٩ ٥٢٠ ٥٢١ ٥٢٢ ٥٢٣ ٥٢٤ ٥٢٥ ٥٢٦ ٥٢٧ ٥٢٨ ٥٢٩ ٥٣٠ ٥٣١ ٥٣٢ ٥٣٣ ٥٣٤ ٥٣٥ ٥٣٦ ٥٣٧ ٥٣٨ ٥٣٩ ٥٤٠ ٥٤١ ٥٤٢ ٥٤٣ ٥٤٤ ٥٤٥ ٥٤٦ ٥٤٧ ٥٤٨ ٥٤٩ ٥٥٠ ٥٥١ ٥٥٢ ٥٥٣ ٥٥٤ ٥٥٥ ٥٥٦ ٥٥٧ ٥٥٨ ٥٥٩ ٥٦٠ ٥٦١ ٥٦٢ ٥٦٣ ٥٦٤ ٥٦٥ ٥٦٦ ٥٦٧ ٥٦٨ ٥٦٩ ٥٧٠ ٥٧١ ٥٧٢ ٥٧٣ ٥٧٤ ٥٧٥ ٥٧٦ ٥٧٧ ٥٧٨ ٥٧٩ ٥٨٠ ٥٨١ ٥٨٢ ٥٨٣ ٥٨٤ ٥٨٥ ٥٨٦ ٥٨٧ ٥٨٨ ٥٨٩ ٥٩٠ ٥٩١ ٥٩٢ ٥٩٣ ٥٩٤ ٥٩٥ ٥٩٦ ٥٩٧ ٥٩٨ ٥٩٩ ٦٠٠ ٦٠١ ٦٠٢ ٦٠٣ ٦٠٤ ٦٠٥ ٦٠٦ ٦٠٧ ٦٠٨ ٦٠٩ ٦١٠ ٦١١ ٦١٢ ٦١٣ ٦١٤ ٦١٥ ٦١٦ ٦١٧ ٦١٨ ٦١٩ ٦٢٠ ٦٢١ ٦٢٢ ٦٢٣ ٦٢٤ ٦٢٥ ٦٢٦ ٦٢٧ ٦٢٨ ٦٢٩ ٦٣٠ ٦٣١ ٦٣٢ ٦٣٣ ٦٣٤ ٦٣٥ ٦٣٦ ٦٣٧ ٦٣٨ ٦٣٩ ٦٤٠ ٦٤١ ٦٤٢ ٦٤٣ ٦٤٤ ٦٤٥ ٦٤٦ ٦٤٧ ٦٤٨ ٦٤٩ ٦٥٠ ٦٥١ ٦٥٢ ٦٥٣ ٦٥٤ ٦٥٥ ٦٥٦ ٦٥٧ ٦٥٨ ٦٥٩ ٦٦٠ ٦٦١ ٦٦٢ ٦٦٣ ٦٦٤ ٦٦٥ ٦٦٦ ٦٦٧ ٦٦٨ ٦٦٩ ٦٧٠ ٦٧١ ٦٧٢ ٦٧٣ ٦٧٤ ٦٧٥ ٦٧٦ ٦٧٧ ٦٧٨ ٦٧٩ ٦٨٠ ٦٨١ ٦٨٢ ٦٨٣ ٦٨٤ ٦٨٥ ٦٨٦ ٦٨٧ ٦٨٨ ٦٨٩ ٦٩٠ ٦٩١ ٦٩٢ ٦٩٣ ٦٩٤ ٦٩٥ ٦٩٦ ٦٩٧ ٦٩٨ ٦٩٩ ٧٠٠ ٧٠١ ٧٠٢ ٧٠٣ ٧٠٤ ٧٠٥ ٧٠٦ ٧٠٧ ٧٠٨ ٧٠٩ ٧١٠ ٧١١ ٧١٢ ٧١٣ ٧١٤ ٧١٥ ٧١٦ ٧١٧ ٧١٨ ٧١٩ ٧٢٠ ٧٢١ ٧٢٢ ٧٢٣ ٧٢٤ ٧٢٥ ٧٢٦ ٧٢٧ ٧٢٨ ٧٢٩ ٧٣٠ ٧٣١ ٧٣٢ ٧٣٣ ٧٣٤ ٧٣٥ ٧٣٦ ٧٣٧ ٧٣٨ ٧٣٩ ٧٤٠ ٧٤١ ٧٤٢ ٧٤٣ ٧٤٤ ٧٤٥ ٧٤٦ ٧٤٧ ٧٤٨ ٧٤٩ ٧٥٠ ٧٥١ ٧٥٢ ٧٥٣ ٧٥٤ ٧٥٥ ٧٥٦ ٧٥٧ ٧٥٨ ٧٥٩ ٧٦٠ ٧٦١ ٧٦٢ ٧٦٣ ٧٦٤ ٧٦٥ ٧٦٦ ٧٦٧ ٧٦٨ ٧٦٩ ٧٧٠ ٧٧١ ٧٧٢ ٧٧٣ ٧٧٤ ٧٧٥ ٧٧٦ ٧٧٧ ٧٧٨ ٧٧٩ ٧٨٠ ٧٨١ ٧٨٢ ٧٨٣ ٧٨٤ ٧٨٥ ٧٨٦ ٧٨٧ ٧٨٨ ٧٨٩ ٧٩٠ ٧٩١ ٧٩٢ ٧٩٣ ٧٩٤ ٧٩٥ ٧٩٦ ٧٩٧ ٧٩٨ ٧٩٩ ٨٠٠ ٨٠١ ٨٠٢ ٨٠٣ ٨٠٤ ٨٠٥ ٨٠٦ ٨٠٧ ٨٠٨ ٨٠٩ ٨١٠ ٨١١ ٨١٢ ٨١٣ ٨١٤ ٨١٥ ٨١٦ ٨١٧ ٨١٨ ٨١٩ ٨٢٠ ٨٢١ ٨٢٢ ٨٢٣ ٨٢٤ ٨٢٥ ٨٢٦ ٨٢٧ ٨٢٨ ٨٢٩ ٨٣٠ ٨٣١ ٨٣٢ ٨٣٣ ٨٣٤ ٨٣٥ ٨٣٦ ٨٣٧ ٨٣٨ ٨٣٩ ٨٤٠ ٨٤١ ٨٤٢ ٨٤٣ ٨٤٤ ٨٤٥ ٨٤٦ ٨٤٧ ٨٤٨ ٨٤٩ ٨٥٠ ٨٥١ ٨٥٢ ٨٥٣ ٨٥٤ ٨٥٥ ٨٥٦ ٨٥٧ ٨٥٨ ٨٥٩ ٨٦٠ ٨٦١ ٨٦٢ ٨٦٣ ٨٦٤ ٨٦٥ ٨٦٦ ٨٦٧ ٨٦٨ ٨٦٩ ٨٧٠ ٨٧١ ٨٧٢ ٨٧٣ ٨٧٤ ٨٧٥ ٨٧٦ ٨٧٧ ٨٧٨ ٨٧٩ ٨٨٠ ٨٨١ ٨٨٢ ٨٨٣ ٨٨٤ ٨٨٥ ٨٨٦ ٨٨٧ ٨٨٨ ٨٨٩ ٨٩٠ ٨٩١ ٨٩٢ ٨٩٣ ٨٩٤ ٨٩٥ ٨٩٦ ٨٩٧ ٨٩٨ ٨٩٩ ٩٠٠ ٩٠١ ٩٠٢ ٩٠٣ ٩٠٤ ٩٠٥ ٩٠٦ ٩٠٧ ٩٠٨ ٩٠٩ ٩١٠ ٩١١ ٩١٢ ٩١٣ ٩١٤ ٩١٥ ٩١٦ ٩١٧ ٩١٨ ٩١٩ ٩٢٠ ٩٢١ ٩٢٢ ٩٢٣ ٩٢٤ ٩٢٥ ٩٢٦ ٩٢٧ ٩٢٨ ٩٢٩ ٩٣٠ ٩٣١ ٩٣٢ ٩٣٣ ٩٣٤ ٩٣٥ ٩٣٦ ٩٣٧ ٩٣٨ ٩٣٩ ٩٤٠ ٩٤١ ٩٤٢ ٩٤٣ ٩٤٤ ٩٤٥ ٩٤٦ ٩٤٧ ٩٤٨ ٩٤٩ ٩٥٠ ٩٥١ ٩٥٢ ٩٥٣ ٩٥٤ ٩٥٥ ٩٥٦ ٩٥٧ ٩٥٨ ٩٥٩ ٩٦٠ ٩٦١ ٩٦٢ ٩٦٣ ٩٦٤ ٩٦٥ ٩٦٦ ٩٦٧ ٩٦٨ ٩٦٩ ٩٧٠ ٩٧١ ٩٧٢ ٩٧٣ ٩٧٤ ٩٧٥ ٩٧٦ ٩٧٧ ٩٧٨ ٩٧٩ ٩٨٠ ٩٨١ ٩٨٢ ٩٨٣ ٩٨٤ ٩٨٥ ٩٨٦ ٩٨٧ ٩٨٨ ٩٨٩ ٩٩٠ ٩٩١ ٩٩٢ ٩٩٣ ٩٩٤ ٩٩٥ ٩٩٦ ٩٩٧ ٩٩٨ ٩٩٩ ١٠٠٠ ١٠٠١ ١٠٠٢ ١٠٠٣ ١٠٠٤ ١٠٠٥ ١٠٠٦ ١٠٠٧ ١٠٠٨ ١٠٠٩ ١٠١٠ ١٠١١ ١٠١٢ ١٠١٣ ١٠١٤ ١٠١٥ ١٠١٦ ١٠١٧ ١٠١٨ ١٠١٩ ١٠٢٠ ١٠٢١ ١٠٢٢ ١٠٢٣ ١٠٢٤ ١٠٢٥ ١٠٢٦ ١٠٢٧ ١٠٢٨ ١٠٢٩ ١٠٣٠ ١٠٣١ ١٠٣٢ ١٠٣٣ ١٠٣٤ ١٠٣٥ ١٠٣٦ ١٠٣٧ ١٠٣٨ ١٠٣٩ ١٠٤٠ ١٠٤١ ١٠٤٢ ١٠٤٣ ١٠٤٤ ١٠٤٥ ١٠٤٦ ١٠٤٧ ١٠٤٨ ١٠٤٩ ١٠٥٠ ١٠٥١ ١٠٥٢ ١٠٥٣ ١٠٥٤ ١٠٥٥ ١٠٥٦ ١٠٥٧ ١٠٥٨ ١٠٥٩ ١٠٦٠ ١٠٦١ ١٠٦٢ ١٠٦٣ ١٠٦٤ ١٠٦٥ ١٠٦٦ ١٠٦٧ ١٠٦٨ ١٠٦٩ ١٠٧٠ ١٠٧١ ١٠٧٢ ١٠٧٣ ١٠٧٤ ١٠٧٥ ١٠٧٦ ١٠٧٧ ١٠٧٨ ١٠٧٩ ١٠٨٠ ١٠٨١ ١٠٨٢ ١٠٨٣ ١٠٨٤ ١٠٨٥ ١٠٨٦ ١٠٨٧ ١٠٨٨ ١٠٨٩ ١٠٩٠ ١٠٩١ ١٠٩٢ ١٠٩٣ ١٠٩٤ ١٠٩٥ ١٠٩٦ ١٠٩٧ ١٠٩٨ ١٠٩٩ ١١٠٠ ١١٠١ ١١٠٢ ١١٠٣ ١١٠٤ ١١٠٥ ١١٠٦ ١١٠٧ ١١٠٨ ١١٠٩ ١١١٠ ١١١١ ١١١٢ ١١١٣ ١١١٤ ١١١٥ ١١١٦ ١١١٧ ١١١٨ ١١١٩ ١١٢٠ ١١٢١ ١١٢٢ ١١٢٣ ١١٢٤ ١١٢٥ ١١٢٦ ١١٢٧ ١١٢٨ ١١٢٩ ١١٣٠ ١١٣١ ١١٣٢ ١١٣٣ ١١٣٤ ١١٣٥ ١١٣٦ ١١٣٧ ١١٣٨ ١١٣٩ ١١٤٠ ١١٤١ ١١٤٢ ١١٤٣ ١١٤٤ ١١٤٥ ١١٤٦ ١١٤٧ ١١٤٨ ١١٤٩ ١١٥٠ ١١٥١ ١١٥٢ ١١٥٣ ١١٥٤ ١١٥٥ ١١٥٦ ١١٥٧ ١١٥٨ ١١٥٩ ١١٦٠ ١١٦١ ١١٦٢ ١١٦٣ ١١٦٤ ١١٦٥ ١١٦٦ ١١٦٧ ١١٦٨ ١١٦٩ ١١٧٠ ١١٧١ ١١٧٢ ١١٧٣ ١١٧٤ ١١٧٥ ١١٧٦ ١١٧٧ ١١٧٨ ١١٧٩ ١١٨٠ ١١٨١ ١١٨٢ ١١٨٣ ١١٨٤ ١١٨٥ ١١٨٦ ١١٨٧ ١١٨٨ ١١٨٩ ١١٩٠ ١١٩١ ١١٩٢ ١١٩٣ ١١٩٤ ١١٩٥ ١١٩٦ ١١٩٧ ١١٩٨ ١١٩٩ ١٢٠٠ ١٢٠١ ١٢٠٢ ١٢٠٣ ١٢٠٤ ١٢٠٥ ١٢٠٦ ١٢٠٧ ١٢٠٨ ١٢٠٩ ١٢١٠ ١٢١١ ١٢١٢ ١٢١٣ ١٢١٤ ١٢١٥ ١٢١٦ ١٢١٧ ١٢١٨ ١٢١٩ ١٢٢٠ ١٢٢١ ١٢٢٢ ١٢٢٣ ١٢٢٤ ١٢٢٥ ١٢٢٦ ١٢٢٧ ١٢٢٨ ١٢٢٩ ١٢٣٠ ١٢٣١ ١٢٣٢ ١٢٣٣ ١٢٣٤ ١٢٣٥ ١٢٣٦ ١٢٣٧ ١٢٣٨ ١٢٣٩ ١٢٤٠ ١٢٤١ ١٢٤٢ ١٢٤٣ ١٢٤٤ ١٢٤٥ ١٢٤٦ ١٢٤٧ ١٢٤٨ ١٢٤٩ ١٢٥٠ ١٢٥١ ١٢٥٢ ١٢٥٣ ١٢٥٤ ١٢٥٥ ١٢٥٦ ١٢٥٧ ١٢٥٨ ١٢٥٩ ١٢٦٠ ١٢٦١ ١٢٦٢ ١٢٦٣ ١٢٦٤ ١٢٦٥ ١٢٦٦ ١٢٦٧ ١٢٦٨ ١٢٦٩ ١٢٧٠ ١٢٧١ ١٢٧٢ ١٢٧٣ ١٢٧٤ ١٢٧٥ ١٢٧٦ ١٢٧٧ ١٢٧٨ ١٢٧٩ ١٢٨٠ ١٢٨١ ١٢٨٢ ١٢٨٣ ١٢٨٤ ١٢٨٥ ١٢٨٦ ١٢٨٧ ١٢٨٨ ١٢٨٩ ١٢٩٠ ١٢٩١ ١٢٩٢ ١٢٩٣ ١٢٩٤ ١٢٩٥ ١٢٩٦ ١٢٩٧ ١٢٩٨ ١٢٩٩ ١٣٠٠ ١٣٠١ ١٣٠٢ ١٣٠٣ ١٣٠٤ ١٣٠٥ ١٣٠٦ ١٣٠٧ ١٣٠٨ ١٣٠٩ ١٣١٠ ١٣١١ ١٣١٢ ١٣١٣ ١٣١٤ ١٣١٥ ١٣١٦ ١٣١٧ ١٣١٨ ١٣١٩ ١٣٢٠ ١٣٢١ ١٣٢٢ ١٣٢٣ ١٣٢٤ ١٣٢٥ ١٣٢٦ ١٣٢٧ ١٣٢٨ ١٣٢٩ ١٣٣٠ ١٣٣١ ١٣٣٢ ١٣٣٣ ١٣٣٤ ١٣٣٥ ١٣٣٦ ١٣٣٧ ١٣٣٨ ١٣٣٩ ١٣٤٠ ١٣٤١ ١٣٤٢ ١٣٤٣ ١٣٤٤ ١٣٤٥ ١٣٤٦ ١٣٤٧ ١٣٤٨ ١٣٤٩ ١٣٥٠ ١٣٥١ ١٣٥٢ ١٣٥٣ ١٣٥٤ ١٣٥٥ ١٣٥٦ ١٣٥٧ ١٣٥٨ ١٣٥٩ ١٣٦٠ ١٣٦١ ١٣٦٢ ١٣٦٣ ١٣٦٤ ١٣٦٥ ١٣٦٦ ١٣٦٧ ١٣٦٨ ١٣٦٩ ١٣٧٠ ١٣٧١ ١٣٧٢ ١٣٧٣ ١٣٧٤ ١٣٧٥ ١٣٧٦ ١٣٧٧ ١٣٧٨ ١٣٧٩ ١٣٨٠ ١٣٨١ ١٣٨٢ ١٣٨٣ ١٣٨٤ ١٣٨٥ ١٣٨٦ ١٣٨٧ ١٣٨٨ ١٣٨٩ ١٣٩٠ ١٣٩١ ١٣٩٢ ١٣٩٣ ١٣٩٤ ١٣٩٥ ١٣٩٦ ١٣٩٧ ١٣٩٨ ١٣٩٩ ١٤٠٠ ١٤٠١ ١٤٠٢ ١٤٠٣ ١٤٠٤ ١٤٠٥ ١٤٠٦ ١٤٠٧ ١٤٠٨ ١٤٠٩ ١٤١٠ ١٤١١ ١٤١٢ ١٤١٣ ١٤١٤ ١٤١٥ ١٤١٦ ١٤١٧ ١٤١٨ ١٤١٩ ١٤٢٠ ١٤٢١ ١٤٢٢ ١٤٢٣ ١٤٢٤ ١٤٢٥ ١٤٢٦ ١٤٢٧ ١٤٢٨ ١٤٢٩ ١٤٣٠ ١٤٣١ ١٤٣٢ ١٤٣٣ ١٤٣٤ ١٤٣٥ ١٤٣٦ ١٤٣٧ ١٤٣٨ ١٤٣٩ ١٤٤٠ ١٤٤١ ١٤٤٢ ١٤٤٣ ١٤٤٤ ١٤٤٥ ١٤٤٦ ١٤٤٧ ١٤٤٨ ١٤٤٩ ١٤٥٠ ١٤٥١ ١٤٥٢ ١٤٥٣ ١٤٥٤ ١٤٥٥ ١٤٥٦ ١٤٥٧ ١٤٥٨ ١٤٥٩ ١٤٦٠ ١٤٦١ ١٤٦٢ ١٤٦٣ ١٤٦٤ ١٤٦٥ ١٤٦٦ ١٤٦٧ ١٤٦٨ ١٤٦٩ ١٤٧٠ ١٤٧١ ١٤٧٢ ١٤٧٣ ١٤٧٤ ١٤٧٥ ١٤٧٦ ١٤٧٧ ١٤٧٨ ١٤٧٩ ١٤٨٠ ١٤٨١ ١٤٨٢ ١٤٨٣ ١٤٨٤ ١٤٨٥ ١٤٨٦ ١٤٨٧ ١٤٨٨ ١٤٨٩ ١٤٩٠ ١٤٩١ ١٤٩٢ ١٤٩٣ ١٤٩٤ ١٤٩٥ ١٤٩٦ ١٤٩٧ ١٤٩٨ ١٤٩٩ ١٥٠٠ ١٥٠١ ١٥٠٢ ١٥٠٣ ١٥٠٤ ١٥٠٥ ١٥٠٦ ١٥٠٧ ١٥٠٨ ١٥٠٩ ١٥١٠ ١٥١١ ١٥١٢ ١٥١٣ ١٥١٤ ١٥١٥ ١٥١٦ ١٥١٧ ١٥١٨ ١٥١٩ ١٥٢٠ ١٥٢١ ١٥٢٢ ١٥٢٣ ١٥٢٤ ١٥٢٥ ١٥٢٦ ١٥٢٧ ١٥٢٨ ١٥٢٩ ١٥٣٠ ١٥٣١ ١٥٣٢ ١٥٣٣ ١٥٣٤ ١٥٣٥ ١٥٣٦ ١٥٣٧ ١٥٣٨ ١٥٣٩ ١٥٤٠ ١٥٤١ ١٥٤٢ ١٥٤٣ ١٥٤٤ ١٥٤٥ ١٥٤٦ ١٥٤٧ ١٥٤٨ ١٥٤٩ ١٥٥٠ ١٥٥١ ١٥٥٢ ١٥٥٣ ١٥٥٤ ١٥٥٥ ١٥٥٦ ١٥٥٧ ١٥٥٨ ١٥٥٩ ١٥٦٠ ١٥٦١ ١٥٦٢ ١٥٦٣ ١٥٦٤ ١٥٦٥ ١٥٦٦ ١٥٦٧ ١٥٦٨ ١٥٦٩ ١٥٧٠ ١٥٧١ ١٥٧٢ ١٥٧٣ ١٥٧٤ ١٥٧٥ ١٥٧٦ ١٥٧٧ ١٥٧٨ ١٥٧٩ ١٥٨٠ ١٥٨١ ١٥٨٢ ١٥٨٣ ١٥٨٤ ١٥٨٥ ١٥٨٦ ١٥٨٧ ١٥٨٨ ١٥٨٩ ١٥٩٠ ١٥٩١ ١٥٩٢ ١٥٩٣ ١٥٩٤ ١٥٩٥ ١٥٩٦ ١٥٩٧ ١٥٩٨ ١٥٩٩ ١٦٠٠ ١٦٠١

١ - من اب منهم . ا) الذي يجعل الثاني متعلقا بالأول ثعلبي الجواب

وقال صاحب النور رحمه الله : في تفسيره للآية الخريمة من سورة
هود ﴿ لَقَدْ أَتَى الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ ﴾ أي غلبوا أي الأشرار
والزعماء الذين كفروا من قومه إلى الجواب ليكون لذهباء شعبا بهم كعادتهم
والقرآن جوابهم هذا بالفاء لأنه هو الأصل في قرد السريع ومثله في سورة
المؤمنين. وتقدم في سورة الأعراف مفسولا وهو " قُلِ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنْ لَدُنْكَ
فِي صَالِكٍ مَبِينٌ " لأنه هو الأصل في باب المراجعة يقال قاتل ويسمى الاستئناف
للبيان .

والفرق بينهما في الموضوعين من هذه النقطة أن للموصول بالفاء أريد به
المبادرة إلى الرد على نوح بما يبطل دعوته بزعمهم، والمفصول ليس إلا طعنا
وتعطلة وهو من جملة ما رموه به لا يعلم حتى وقع منهم وليس جوابا متصلا
بالدعوة، فإنا لله المحجب من هذه النقطة في بلاغة القرآن^(٧)

ثم جاء في سورة هود قول الملائكة (إنا بشرنا عتقنا) (٧)
وجاء في سورة المؤمنون قول الملائكة لبعضهم لبعض (ما هذا إلا بشر
مثلكم يريد أن يفتنكم عنكم) (٨)

1998, 1999, 2000, 2001, 2002, 2003, 2004, 2005, 2006, 2007, 2008, 2009, 2010, 2011, 2012, 2013, 2014, 2015, 2016, 2017, 2018, 2019, 2020, 2021, 2022, 2023, 2024, 2025, 2026, 2027, 2028, 2029, 2030, 2031, 2032, 2033, 2034, 2035, 2036, 2037, 2038, 2039, 2040, 2041, 2042, 2043, 2044, 2045, 2046, 2047, 2048, 2049, 2050, 2051, 2052, 2053, 2054, 2055, 2056, 2057, 2058, 2059, 2060, 2061, 2062, 2063, 2064, 2065, 2066, 2067, 2068, 2069, 2070, 2071, 2072, 2073, 2074, 2075, 2076, 2077, 2078, 2079, 2080, 2081, 2082, 2083, 2084, 2085, 2086, 2087, 2088, 2089, 2090, 2091, 2092, 2093, 2094, 2095, 2096, 2097, 2098, 2099, 2100, 2101, 2102, 2103, 2104, 2105, 2106, 2107, 2108, 2109, 2110, 2111, 2112, 2113, 2114, 2115, 2116, 2117, 2118, 2119, 2120, 2121, 2122, 2123, 2124, 2125, 2126, 2127, 2128, 2129, 2130, 2131, 2132, 2133, 2134, 2135, 2136, 2137, 2138, 2139, 2140, 2141, 2142, 2143, 2144, 2145, 2146, 2147, 2148, 2149, 2150, 2151, 2152, 2153, 2154, 2155, 2156, 2157, 2158, 2159, 2160, 2161, 2162, 2163, 2164, 2165, 2166, 2167, 2168, 2169, 2170, 2171, 2172, 2173, 2174, 2175, 2176, 2177, 2178, 2179, 2180, 2181, 2182, 2183, 2184, 2185, 2186, 2187, 2188, 2189, 2190, 2191, 2192, 2193, 2194, 2195, 2196, 2197, 2198, 2199, 2200, 2201, 2202, 2203, 2204, 2205, 2206, 2207, 2208, 2209, 2210, 2211, 2212, 2213, 2214, 2215, 2216, 2217, 2218, 2219, 2220, 2221, 2222, 2223, 2224, 2225, 2226, 2227, 2228, 2229, 2230, 2231, 2232, 2233, 2234, 2235, 2236, 2237, 2238, 2239, 2240, 2241, 2242, 2243, 2244, 2245, 2246, 2247, 2248, 2249, 2250, 2251, 2252, 2253, 2254, 2255, 2256, 2257, 2258, 2259, 2260, 2261, 2262, 2263, 2264, 2265, 2266, 2267, 2268, 2269, 2270, 2271, 2272, 2273, 2274, 2275, 2276, 2277, 2278, 2279, 2280, 2281, 2282, 2283, 2284, 2285, 2286, 2287, 2288, 2289, 2290, 2291, 2292, 2293, 2294, 2295, 2296, 2297, 2298, 2299, 2300, 2301, 2302, 2303, 2304, 2305, 2306, 2307, 2308, 2309, 2310, 2311, 2312, 2313, 2314, 2315, 2316, 2317, 2318, 2319, 2320, 2321, 2322, 2323, 2324, 2325, 2326, 2327, 2328, 2329, 2330, 2331, 2332, 2333, 2334, 2335, 2336, 2337, 2338, 2339, 2340, 2341, 2342, 2343, 2344, 2345, 2346, 2347, 2348, 2349, 2350, 2351, 2352, 2353, 2354, 2355, 2356, 2357, 2358, 2359, 2360, 2361, 2362, 2363, 2364, 2365, 2366, 2367, 2368, 2369, 2370, 2371, 2372, 2373, 2374, 2375, 2376, 2377, 2378, 2379, 2380, 2381, 2382, 2383, 2384, 2385, 2386, 2387, 2388, 2389, 2390, 2391, 2392, 2393, 2394, 2395, 2396, 2397, 2398, 2399, 2400, 2401, 2402, 2403, 2404, 2405, 2406, 2407, 2408, 2409, 2410, 2411, 2412, 2413, 2414, 2415, 2416, 2417, 2418, 2419, 2420, 2421, 2422, 2423, 2424, 2425, 2426, 2427, 2428, 2429, 2430, 2431, 2432, 2433, 2434, 2435, 2436, 2437, 2438, 2439, 2440, 2441, 2442, 2443, 2444, 2445, 2446, 2447, 2448, 2449, 2450, 2451, 2452, 2453, 2454, 2455, 2456, 2457, 2458, 2459, 2460, 2461, 2462, 2463, 2464, 2465, 2466, 2467, 2468, 2469, 2470, 2471, 2472, 2473, 2474, 2475, 2476, 2477, 2478, 2479, 2480, 2481, 2482, 2483, 2484, 2485, 2486, 2487, 2488, 2489, 2490, 2491, 2492, 2493, 2494, 2495, 2496, 2497, 2498, 2499, 2500, 2501, 2502, 2503, 2504, 2505, 2506, 2507, 2508, 2509, 2510, 2511, 2512, 2513, 2514, 2515, 2516, 2517, 2518, 2519, 2520, 2521, 2522, 2523, 2524, 2525, 2526, 2527, 2528, 2529, 2530, 2531, 2532, 2533, 2534, 2535, 2536, 2537, 2538, 2539, 2540, 2541, 2542, 2543, 2544, 2545, 2546, 2547, 2548, 2549, 2550, 2551, 2552, 2553, 2554, 2555, 2556, 2557, 2558, 2559, 2560, 2561, 2562, 2563, 2564, 2565, 2566, 2567, 2568, 2569, 2570, 2571, 2572, 2573, 2574, 2575, 2576, 2577, 2578, 2579, 2580, 2581, 2582, 2583, 2584, 2585, 2586, 2587, 2588, 2589, 2590, 2591, 2592, 2593, 2594, 2595, 2596, 2597, 2598, 2599, 2600, 2601, 2602, 2603, 2604, 2605, 2606, 2607, 2608, 2609, 2610, 2611, 2612, 2613, 2614, 2615, 2616, 2617, 2618, 2619, 2620, 2621, 2622, 2623, 2624, 2625, 2626, 2627, 2628, 2629, 2630, 2631, 2632, 2633, 2634, 2635, 2636, 2637, 2638, 2639, 2640, 2641, 2642, 2643, 2644, 2645, 2646, 2647, 2648, 2649, 2650, 2651, 2652, 2653, 2654, 2655, 2656, 2657, 2658, 2659, 2660, 2661, 2662, 2663, 2664, 2665, 2666, 2667, 2668, 2669, 2670, 2671, 2672, 2673, 2674, 2675, 2676, 2677, 2678, 2679, 26

١ - ينظر : دراسة التحويل ١٥١ ، ١٥٢

٢ - ينظر : القرار ١٢ / ٥٤

۳ - حدود آیه رقم ۷۷

٤ - سورة المؤمنون آية رقم ٧٤

فكانت المشابهة من المخاطبين كما في سورة المؤمنين وأخرى للمتكلمين
كما في سورة هود .

والمراد في ذلك :

أنه تنوع وتفرق مودة إلى المعاني الأصلية مع التصرف في حكيتها
لملاحظات بلاغية تعود إلى مقتضيات الأحوال والمساكنات يمكن أن يكون أحد
هذه للملاحظات : أن الملاءم أن الرسول يريد التمييز وهذا من شأنه أن يكون
على عامة الناس، أما قلماء فهم الفضل من أن يتميز عنهم أحد اللهم إلا إذا كان
للملائكة كما يرى هذا النوع من الناس .

لكن قلماء في سورة هود كانوا يحتاجون على الرسول بارتجاع الضعفاء
لرسالته فهم يرون أن الرسول أفضل ما يكون من أمره أن يكون واحداً من
السلالة غير أنه خالف هذه الأفضلية بارتجاع الضعفاء له، فإذا رلوا فيه التميز كان
ذلك على الضعفاء. وإذا نظرنا إلى ما يجب أن يكون عليه الشخص كان مثل
الكشاف

ويمكن أن تكون مقالات مختلفة وفقاً للمعاني حاضرة الرسول وفي غيبته،
المهم أن هذه الردود قد وقعت ويحكي القرآن مصمومها بون لفعلها

وما كانت سورة للمؤمنين تعتمد على بيان فضل أصل الفصل والشهادة
لأهل الإيمان بالفلاح، كانت القصص فيها تحكي ما قال الناس بعضهم لبعض
وفتهمهم للرسول فيما بينهم دون مجيئه لرسول بشيء، يشهد لهذا قولهم في حق
نوح ﴿ إِنَّمَا رَجُلٌ بِهِ جُنَّةٌ فَنُرِيكُمْ بِهِ هَدًى حَتَّىٰ حِينٍ ﴾^١ وفي حق هود ﴿ إِنَّمَا

١ - المؤمنون آية ٢٥ .

هُوَ (لَا رَجُلَ تَلْتَرَى عَلَى لَاحِظِ كَذِبِهَا وَمَا حَرَّاهُ بِمُؤْمِنٍ) ١٢٢ هـ الحبيب عن
الرسول في غيبه منهم بصور أي المرسل إليهم دون مشافهة بينهم و بين
الرسول.

١٢٣

١٢٤ هـ في سورة هود فمبني القصص على تسليية خاتم الرسل T برواية ما
وقع لإخوانه أصحاب الرسالات السابقة لذلك قصت الآيات مجابهاة وقعت بين
الرسل وأقوامهم .

يشهد بذلك قولهم لادوح { مَا تَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَكَ وَمَا يُرَاكَ إِلَّا عَيْنُ }
هـ أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ يَكُنْ لِرَأْيِي وَمَا نَرَى نَكْمٌ عَيْنًا مِنْ فَضْلِ (١٢٥) إلى آخر ما حكته
القصص من قوم يستعجلون للعذاب ويستخرون من ملك الذي يصنع للهلك في
الصعراء، ورسولا يحوف من عذاب الله ويقول لقومه { إِنْ تَسْأَلُونَنَا مِنْ غَيْرِ
لَسْنَا نَعْلَمُ كَمَا تَسْأَلُونَ لَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ (١٢٦) } وقولهم
لهود { يَا هَذِهِ هِيَ جِلَّتْنَا بَيْنَهُ (١٢٧) } وقولهم لصالح { لَقَدْ كُنْتَ هَيْثَ مَرْجُوًّا فَلِمَ
كُنْتَ (١٢٨) } وقولهم لشعيب { يَا شُعَيْبُ أَصْلَاحُكَ تَتَذَكَّرُ أَنْ نَنْقُضَ مَا يُعِدُّ آبَاؤُنَا
أَوْ لَنْ يَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ لَنَحْنُ الْفٰسِقُونَ (١٢٩) }

١٣٠

١ - المؤمنون آية ٢٨ .

٢ - هود آية ٢٧

٣ - هود آية رقم ٣٨ ، ٣٩

٤ - هود آية رقم ٥٣

٥ - هود آية رقم ٦٢ .

٦ - هود آية رقم ٨٧

٧ - ينظر ملاحح بلاغية في سورة المؤمنون من ٩٦

سألتنا : جاء في سورة الأعراف قول الملائكة نوح عليه السلام ﴿ إِنَّا نراك في صلاتٍ عبيدٍ ﴾ (١)

وجاء في سورة هود قولهم له ﴿ مَا تَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا ﴾ (٢)

وجاء في سورة المؤمنون قولهم له ﴿ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ﴾ (٣)

فقد وصف القوم نبيهم بالصلال في سورة الأعراف بينما وصفوه بالبشرية في سورتي هود والمؤمنون .

فلماء : اختلفت سورة الأعراف بما احتضنت به، واحتضنت سورتي هود والمؤمنون بما جاء فيها ؟

والسر في ذلك :

يعود إلى التوبيخ والتفنن مع مناسبة كل لفظ أو تركيب للموضوع الذي نكر فيه .^{١٥}

سورة الأعراف جاء فيها وصف القوم بنبيهم بالصلال لأن السورة الكريمة مكرب في أياها السابقة ، على قصة نوح قومه معالي : ﴿ قَرِيبًا هَدَى وَقَرِيبًا حَقُّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ﴾ [سُئِمُوا اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهم مُهْتَدُونَ] (١٥)

١ - سورة الأعراف آية رقم ٦٠

٢ - سورة هود آية رقم ٦٧

٣ - سورة المؤمنون آية رقم ٢٤

٤ - آية رقم ٣٠ .

وقد دعواهم فقالوا: «يا أيها الذين آمنوا، لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل»^(١)
من دور الله قالوا: «صبروا عني وحينئذ عني أنفسهم أنهم كانوا كافرين»^(٢)

وقوله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِمَّا يَدْخُلُ الْهَوَىٰ ۚ تَكْفُرُونَ بِهِ ۚ فَأَعْيُوا آبَاءَكُمْ مَا هُمْ كَاثِرُونَ﴾^(٣)
لما لم يردوا فاجعل غير الذي كنا بفعل قد خسروا أنفسهم وفضل عنهم ما كانوا
يقفون»^(٤)

كان لأول حكاية عن بني أمية كلهم وكان الثاني بين أهل الكفر بموتهم
عليه ثم يملأون من الشركاء، وكان الثالث في تصوير أهوال القبيحة

عشتمان لأيات الثلاث على حديث الضلال والضلالة رشح أن يكون
حديث نوح مع طومه حول هذا الضلال هذا وقد استتمت قصة هود التالية على
الفسافة وهي مرانفة للضللال،

أب سورة هود فقد سبق القصة اعتراض كافر مكة على خاتم المرسلين
بقولهم ﴿لَوْ أَنزَلْنَاهُ عَلَىٰ كُلِّ شَاةٍ لَّخُفِيَ عَلَيْكَ الْكَافِرُونَ﴾^(٥)

فاغراضهم بعدم مصاحبة قمنك له يشهد على صحة دعواه بحسب أنهم لا
يرصون رسالة للبشر على ما جاء في سورة الإسراء من مطالبة أهل الكفر
رسول الله T بأمر تصحح له ما يدعيه من كونه مرسلًا من عند الله جاء منه
قولهم ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُ يَمِينٌ وَفَعَلْنَا لَهُ إِبْرَاهِيمَ ۖ أَوْ يَكُونُ لَهُ زَوْجٌ أَوْ يُرْفَعُ
فِي السَّمَاءِ ۚ وَكَانَ نُوْمَنُ يُرْفَعُ حَتَّىٰ تَقُولَ عَلَيْهِ كَذِبٌ يُفْرَوْنَ﴾^(٦) ورد لرسول

١ - آية رقم ٣٧

٢ - آية رقم ٤٣

٣ - هود آية رقم ١٢

٤ - سورة الإسراء الأيتان رقم ٩٢ - ٩٣

على ذلك بأمر الله تعالى ﴿ قُلْ مَتَّحِنَانِ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا مَرْمُوسًا ﴾ (١)
 فيحتاج العوم في سورة هود يتبع ما هنا كما يبدو والله أعلم

أما سورة المؤمنون فإن حديث البشرية فيها لا يكاد يحصى على أي عيين
 إذ إن الآيات السابقة تقرر استواء الناس في أصل الخلقة أعني في البشرية ، ثم
 تكرر حديث البشرية في قصة هود إذ جاء فيها قول الحق تعالى : ﴿ وَقَالَ لِلْمَلَأِ
 مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أَفَإِنَّا لَفِي السَّحَابِ مُمْسِكُونَ مَا هَذَا بَشَرًا
 يَكُونُ مِنْكُمْ فَأَنذَرْتُمُوهُم بِمَا يَكُونُ مِنْهُمْ لَعَنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَهُمْ لَا يَمْنُونَ ﴾ (٢)
 إنكم إذا تُخاسرون (٣) .

وفي قصة موسى وهارون جاء قوله المولى تبارك وتعالى على لسان
 هرون وملاه ﴿ فَقَالُوا الْيَهُودُ أُنْفُسُ كَذِبٍ وَإِنَّا لَفِي السَّحَابِ مُمْسِكُونَ ﴾ (٤) فحديث
 البشرية من أصل الخلق إلى أبرز الفصول في السورة وأصح (٥) فناسب كل
 وصف موضعها .

سابعاً إذ جاء في سورة الأعراف قوله تعالى : ﴿ فَكَذَّبُوا فَاجْتَنَاهُ وَالَّذِينَ
 مَعَهُ فِي الْفَنَاءِ وَأَخْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ عَمِينَ ﴾ (٦)

وجاء في سورة يونس قوله تعالى ﴿ فَكَذَّبُوا فَاجْتَنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي
 الْفَنَاءِ وَجَنَّدْنَا لَهُم خَلَائِفَ وَأَخْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَغَطَّوهُمْ كُنَّ عِصَافَ
 الْغَابِ ﴾ (٧)

١ - الإسماء آية رقم ٩٤

٢ - سورة المؤمنون الآية رقم ٣٢ ، ٣٤

٣ - سورة المؤمنون آية رقم ١٧

٤ - ينظر : ملامح بلاغية ص ٩٦ .

٥ - الأعراف آية رقم ٦٤

والصالحين الذين هم خير من غيرهم

وہملائکم خلاف

وتسرع في ذلك ، يعود جبر التوبة والنفس في طرق ، انقطع مع هدية شـ
افضل لو تركه ، للموضوع الذي ذكر فيه .

(لأن أنجيب وسجود يتحدى فكر التشديد يدل على الكثرة والعبادة فكان
في يونس { ومن معه } ونظ { من } يقع على كثرة مع يقع عليه { الذين } لأن
من يصلح تناولد والتنبيه والجمع والمذكر والمؤنث بخلاف الذين فإنه لجمع
المذكر فحسب فكر التشديد مع من ليق { ١١)

والعصيب الإسكافي وجهة نظر أخرى فيقول رحمه الله (للسائل أن يسأل
فيقول : دم اغتصبت الآية الأولى بقوله « **الْجِنْدَاءُ وَالَّذِينَ مَعَهُ** » والثانية بقوله :
« **هَجَبَاءُ وَمَنْ مَعَهُ** » فيقول : ورد فيها « **وَمَنْ مَعَهُمُ خِلَافٌ** » ؟

الجوابي أن يقال : - المورثان مكنتي جميعاً والآية في سورة لأعراف وقوله "أنجيته" أصل في هذه الآية . لأن أفعلت في باب النقل أصل لعلت، وهو أكثر نقول بجا وأنجيته، كما نقول ذهب وأذهبته، ودخل وأدخله، وخرج وأخرجته، فأما فعلته فمن القلة بحيث يمكن عده ، نحو وأفرغته، وخب وأخوفته، وقد جاء معه بالهمزة فيقال أفرغته، وأخفته، ولا يجاء مع تشديد اللام بالهمزة، لا نقول ذهبته ولا دخلته، في أذهبته وأدخلته، فالآية الأولى جاءت على الأصل الأكثر، ولهذا أكثر ما جاء في القرآن جاء على أنجيته كقوله : ﴿ فَانْجِيْنَاهُ وَالْقَيْنِ

١ - سورة يونس آية رقم ٧٣

١٢٢ - يخطر : البرهي للكرماني

مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مَعًا ١٠ ١١ وَكَقَوْلِهِ ﴿ وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴾ (٢١)
وَقَوْلِهِ : ﴿ فَانْجَاؤُهُ قَلْبُهُ مِنَ النَّارِ ﴾ (٢٦)

وَلَمْ يَمَسَّ الْجِيمَ فِي سَجْدَةٍ لِلْكَثْرَةِ ، وَإِنَّمَا هِيَ الْعَاقِبَةُ لِلْهَمزةِ بِدَلَالَةِ قَوْمِهِ فِي ذِي
النُّفُوسِ ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ النَّارِ ﴾ (٢٦)

وَلَا كَثْرَةُ هُكَكَ

وَأَمَّا قَوْلُهُ ﴿ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي النَّارِ ﴾ { هُوَ الْأَصْلُ - وَمِنْ تَجَنُّبِ بَعْدَهَا ،
وَتَكُونُ مُشْتَرِكَتَيْنِ فِي مَعْنَى وَالَّذِينَ - خَالِصَةً لِلْخَبَرِ مَحْصُوصَةً بِالصَّاتَةِ
فَاسْتَعْمَلَ الْأَصْلَ فِي اللَّفْظَتَيْنِ أَنْجَبْنَا وَالَّذِينَ ، وَلَمَّا تكررَ هَذَا الذِّكْرُ كَانَ لِيَعْدُولَ إِلَى
الْلَفْظَيْنِ الْآخَرَيْنِ الَّذِينَ هُمَا بَعْدَهُمَا وَهُمَا نَجَبْنَا وَمِنْ أَشْبَهَ بِطَرِيقَةِ الْفَصْحَاءِ
وَعِلَادَةِ الْبَلَاءِ .

فَأَمَّا قَوْلُهُ : ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ خِلَافًا ﴾ فِي الْآيَةِ الثَّانِيَةِ فَإِنَّهُ رِبَادَةٌ فِي الْخَبَرِ عَنْ
الْخَوَالِفِ الَّذِينَ نَجَوْا مِنَ الْغُرُقِ فَصَارُوا خِلَافَهُ لِلْهَالِكِينَ وَقِيلَ كَانُوا ثَمَانِينَ نَفْسًا
وَهَلْكَ سِتْرُ الْأَرْضِ . فَبِئْسَ قَوْلٌ فَالْإِعْرَاقُ قَبْلَ أَنْ يَجْعَلُوا خِلَافًا فَكَيْفَ لَدِمَ عَلَيْهِ ؟

قَوْلٌ : بِجَوْرِ أَنْ يَكُونَ مَعْنَى وَجَعَلْنَاهُمْ خِلَافًا إِنَّمَا قَدِمَ لِأَنَّهُ مِنْ صِفَةِ
أَنْجَبْنَاهُمْ ، فَلَمَّا أَحْبَبَ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ ضَمَّ إِلَيْهِ لِلْخَبَرِ الثَّانِي

١ - سورة الْأَعْرَافِ آيَةُ رَقْمِ ٧٢ .

٢ - سورة الشُّعَرَاءِ آيَةُ رَقْمِ ٦٥ .

٣ - سورة الْعَنْكَبُوتِ آيَةُ رَقْمِ ٢٤ .

٤ - سورة الْأَنْبِيَاءِ آيَةُ رَقْمِ ٨٨ .

ويجوز أن يكون معنى وجعلهم حلائف أي حكمنا لهم بذلك، ثم كان لإغريق سبعة على أن الواء لا ترتب فيها ولا يمنع أن يكون للمذكور بعده مقدما على ما قبلها (١٦)

ثامناً جاء في سورة هود قوله تعالى ﴿ حَتَّى إِذَا جَاء أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا ﴾ (١٧)

وفي سورة المؤمنون قوله تعالى . ﴿ فَإِذَا جَاء أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْكُتْ فِيهَا ﴾ (١٨)

ولفتأمل فيهما يجد ما يلي :

أولاً : إنه الأمر من الله لنوح بالركوب في السفينة ومن معه جاء في سورة هود تكجرب لا تعليق فيه، بعد مجي الأمر وفوران التور قال الله له ﴿ احْمِلْ فِيهَا ﴾ .

ثانياً : كان في سورة المؤمنون هذا الأمر معنفاً والمسي عليه حينئذ يأتي أمرنا ويحور التور فمليك أن تسلك فيها .

والسر في ذلك :

أن الأمر من الله لنوح بالركوب والذين معه في السفينة قد تكرر أمره به مرة أولى عند أمره بصنع السفينة فكان أمراً تعنيفياً وهو الوارد في سورة المؤمنون. ويلاحظ أن كل من السورتين اشتملت على أمر مكرر، فالمعقول في

١ - ينظر : ذرة التنزيل ١٥٤ ، ١٥٥ .

٢ - هود آية رقم ٤١ .

٣ - المؤمنون آية رقم ٢٧ .

﴿ في رمضان عبد العزيز عطا الله ﴾

ثانياً ومحلي حتى في سورة هود مكان القاء في سورة المؤمنين ، ففي سورة هود قوله ﴿ حتى إذا جاء أمرنا ﴾ وفي سورة المؤمنين ﴿ فلما جاء أمرنا ﴾ .

وليس في ذلك :

أنه القصة في سورة هود لطول من القصة في سورة المؤمنين ، فافترض بكل من المكثرين ما ياسبه

ففي سورة هود مناقشة الرسول لقومه ، واعتراض القوم بالبشرية والعتية ، واستعجال العقاب وبين لي المؤمنين أن يريدوا وسخرية القوم من الرسول وهو يصنع السفينة حتى يكون يوم الهلاك .

وفي المؤمنين لم يكن إلا حديث البشرية للعتية ، ونقاء الرسالة في السابقين ، مع هو القول سور الأولى فكانت القاء السب في موضع وكاتب (حتى) مناسبة في موضع آخر .

وعلى هذا جاء قوله تعالى : ﴿ فإذا استوفيت أمرك ومن معك على ذلك فقل الحمد لله الذي أنقانا من القوم الظالمين ﴾ وقال رب أنزلني منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين .

لآيات ساجدة ، وحمد ، وبركة ، وخير ولا شيء بعد هذا لأن المقام مقام إيجاز ، بمقدور إبراز للنص التي كان الخرس الأساسي في هذا الجزء من السورة يبرزها ويبرزها ، والتمدد بها أكثر من مرة ، أعطى نعمة الفلاح للمؤمنين ، ثم نعمة خلق الإنسان مع ما حبه الله به من اللطف ثم نعمة الخلق للكائنات على ما

وسمعيها، ثم نعمة قلهاية، ولتنبؤنا، ووجهة المؤمنين من كبد الكافرين، ألا ترى إلى أن نوحاً قال لربه { قَالَ رَبِّهِ تَصَرَّفِي بِمَا كَذَّبُونُ }^{٢٦} فكانت نعمة الاستجابة للمفسر إلى سرعتها توارد حرف لفاء بعصه أثر بعض إلى آخر العصه { فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ، فَبِذْءِ جَاءَ أَمْرًا، فَجَعَلْنَا فِيهَا، فَبِذْءِ سَتُونِ } الآية^{٢٧}.

ثالثاً التعبير بالحمل في سورة هود في قوله تعالى { فَلَمَّا أَحْمَلْ } وبالسلك في سورة المؤمنون في قوله تعالى { فَجَعَلْنَا فِيهَا } وليس في ذلك :

من " يحمل " أكثر انتشاراً في الاستعمال فكانت في لفظة الحويطة أما بالسلك فهو قليل لئلا كان في لفظة القصيرة

قال الخطيب الإمكالي رحمه الله (نَسْنَلُ لِي يَسْأَلُ يَقُولُ : مِمَّ احْتَلَبَ فِي الْإِنْبِيَاءِ قَوْلُهُ { فَلَمَّا أَحْمَلْ فِيهَا } وَقَوْلُهُ { فَجَعَلْنَا فِيهَا } وَهَلْ كَانَ يَصْلُحُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَكَانَ الْآخَرِ أَوْ هَذَا مَعْنَى يَخْصُصُ كُلًّا بِمَكَانِهِ ؟^{٢٨})

للجواب : أن يقال قوله { فَلَمَّا أَحْمَلْ } أي حين حمل عاب كان من الله تعالى إلى روح عبده فسلام من الأمر بحمل ما يحمله في السفينة، ومن يحمله من المؤمنين وتقدم فيه بعدادهم للركوب معه، وبلغ من خطر حمله استصعابه ثم بعد ذلك أمره بعوله أركبوا فيه، فالأول أمر بتهيئة ما يستلزم من الحيوان وما يستلزم من الممكنين. والثاني أمر بركوب السفينة والثالث أمر بالهبوط منها بقوله { قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ }^{٢٩}.

١ - سورة المؤمنون آية رقم ٢٦

٢ - ينظر : ملامح بلاغية ص ٩٩

٣ - هود آية ٤٨

فأدي جاء في سورة هود جاء على مقتضى الأمر الله للمعضلة إبعاد من يركب معه وعن الركوب ومن للنزول .

ولم يوه في سورة المؤمنون { فإله مجمل على ما فصل في الآية الأولى إذ كان المخرج والنيان مقصورين عليها، وكانت الثانية مشتقة على بعض ما شتمت عليه الأولى وهو قوله ' إلهك ' ما يتضمن حمل والركب والصبر، ومن عندك سمي الطريق مسلكا ونسلكه يتابع في الأرض أي أجهاد، وسلك الطريق أي بعد فيه، فكان موضع الاختصار أولى بالمجمل من الكلام وموضع التبيين أولى باليسر، فقصه نوح في سورة هود قد شغلت بها خمس وعشرون آية، وهي في سورة المؤمنون والعة في ثمان آيات، فالقرآن بكل من المكثبين ما تقتضاه للقص من زيادة بيان أو اختصار كلام) .

فاسم جاء في سورة هود قوله تعالى { فَلَمَّا اخْتُلِفَ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَئِثٍ وَأَهُلْكَ } (١) .

وفي سورة المؤمنون جاء قوله تعالى : { فَاسْأَلْهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَئِثٍ وَأَهُلْكَ } (٢) .

والمعامل فيهما يجد ما يلي .

أولا ، زيادة لفظ (ومن آمن) في سورة هود سورة المؤمنون والمصر في ذلك أمران :

- ١ - ينظر : مرة التكرير للتأكيد من ٣٣٥ ، ٣٦٦ .
- ٢ - هود آية رقم ٤١ .
- ٣ - المؤمنون آية رقم ٢٧ .

الأول : أن زيادة { ومن آمن } في سورة هود مناسبة لمقام الإطباب هي العصة .

فآية سورة للمؤمنين من تأمل فيها وجد أن المحصور في السجدة صمدان (الخروج ، بالأهل) بينما آية هود المتأمل فيها وجد أن المحصور في السجدة ثلاثة أصناف بزيادة قوله { ومن آمن } سواء كان الأهل أهل النسب ، أو أهل العناية وعطف المؤمنين لغاية الوصف ، وفي زيادة ذكر { ومن آمن } يعود خاصة لمقام الإطباب فيها .

الثاني : أن من آمن قد ذكروا في سورة هود أكثر من مرة ، فعن ذكره في قول قوله له { ما ترك إلا بشرًا مثلنا وما تركك فتبتك إلا القذير هم أذنك يادي الرأي وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين }^(١)

ثم في حديثه عليه السلام عن الرحمة تقول بأمر الله على من شاء الله ومناقشة أهله به في العذاب متى يدر بهم إلى غير ذلك من الأمور التي كانت نهايتها سخرتهم منه ، وهو يصنع القاك في مكان طنوه بعيدا عن الماء وتحويفه إيدهم عذاب الله يدر سخرها ، لذا كان ذكر الأهل في سورة التطويل أنسب إذ أن معهم بالإيمان في سورة تحدثوا فيها وسمعوا ، أعور على تمييز المؤمنين عن سواهم بمزيد عدا ، لأن النفس تستشرف لمعرفة مبالغهم بعد الجدال في شأنهم والطعن عليهم من الكافرين والندع عنهم من رسوله . وشيء للنفس من عدا ما تستشرف الله بذكر ما تستشرف إليه ، مزال ولن يزل من مقاصد اللفاء بل هو البلاغة لنفسه)^(٢)

١ - آية رقم ٢٧

٢ - ينظر : ملاح بلاغية في سورة المؤمنين ١٠١

ثانيه زيادة نفظ " منهم " هي سورة المؤمنون نوب سورة هود

والعبر في ذلك :

إما لأن عصف قوله { ومن آمن } في سورة هود على سابقه عطف معروف مرافق له وصل للجملة الاستثنائية الواقعة بين المعطوف والمعطوف عليه .

أو لأن حذف هذا البيان ثقل في بيان كبر المستثنى السابق عندهم القول من أهله أم لا .

وهذا أشبه به حكى عن نوح في الصورة نفسها من أن يسه من أهله أم ليس منهم ؟ وهل هو من الذين سبق عندهم القول أم لا ؟ فهما هو ذا أبه يفرق نكس أبه يسأل ربنا إن أنتمي من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين

فلما أن النبوة وحدها تجعل الولد تابعاً لأبيه، ويد يكون هو الكافر من أولاد نوح ويحل أهله يصير للقرآن لكن الحق تعالى بين من المعيس هو العيس وليس النبوة فقط فيقول { يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح } (١١) وليس للخارق من الأولاد تابعاً لأبيه لاختلاف المعيدة والعمل (١٢)

هاهو جاء في سورة هود قول نوح لقومه { وما قوم لا أسألكم عليه سالة إن أجزئ إلا أنهي الله } (١١)

١ - هود آية رقم ٤٥ .

٢ - هود آية رقم ٤٦ .

٣ - ينظر : ملامح بلاغية ص ١٠٢ .

٤ - سورة هود آية رقم ٢٩ .

﴿تَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِهِمُ﴾

وجاء في سورة يونس قوله لقومه ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنَّ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾^(١)

وجاء في سورة الشعراء قوله لقومه ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٢)

فقد وردت كلمة أجر بدل كلمة مال في سورتي يونس والشعراء

والمراد في ذلك :

يعود إلى التوزيع والتقسيم في طريق التنظيم مع مناسبة كل لفظ أو تركيب للموضوع الذي جاء فيه.

قال الكرماني - رحمه الله - (وسبب ذلك أنه في الموضع الذي وردت فيه كلمة (مال) وقعت بعد كلمة خرائن وبقي المال بالخرائن قبل فقد جاء على ناس نوح عليه السلام في سورة هود قوله (وَلَا تَقُولُ لَكُمْ عِذِّي خِرَائِنٌ فَلَّهُ)^(٣) فاسبب ذكر المال ههنا بحال المواضع الأخرى)^(٤)

الحادي عشر :

جاء في سورة نوح أنه عليه السلام دعا على قومه بالصلال فقال (وَلَا يرد قطالمين [لا صلالا] بينما في آخر السورة ورد أنه دعا على قومه بالولالال فقال (وَلَا تَزِدْ الظَّالِمِينَ [لا تبالا])

١ - يونس آية رقم ٧٢ .

٢ - الشعراء آية رقم ١٠٩ .

٣ - هود آية رقم ٣١ .

٤ - ينظر : الميراث للكرمانى ١٤٤ .

والسر في ذلك ، يعود إلى التوزيع والتقسيم مع مناسبة كل لفظة أو تركيب للموضوع الذي ورد فيه .

قال الحبيب لاسكافي رحمه الله السائل أن يسأل عن الأول واختصاصه بالأصائل، وعن الثاني واختصاصه بالإملاء الذي هو للتبار ؟

والجواب: أن الأول جاء بعد قوله تعالى : { ولا يغوث ويعوق ونسرا } وقد أضفوا كثير { أي بما قالوا } { ولا تكرب لكم تكرب ولا تكرب ودا ولا سوع } فأمرنا أتباعهم بالتسليم بحجة هذه الأصنام، وأمنوهم عن طريق الرشاد دعا عليهم نوح عليه السلام بأن يصلهم الذنوب بعد استحقاق العذاب لجهاب قوله { وقد أضفوا كثيرا } وأما الآخر فهو معناه ردهم هلاكاً على هلاكه، وعذاباً فوق عذاب بما والفوا عليه العزيمة من كفر وصلائل، ذلك عند دعوي النار، فافتضى كل من المكاني ما جاء فيه .

الثاني عشر :

جاء في سورة الأعراف ^١ وبوس ^٢ وهود ^٣ والمؤمن ^٤ وللشعراء ^٥ أن وسيلة المجاه التي ركبها نوح ومن آمن معه تسمى الفلك وجاء في سورة الحنكوت ^٦ أنها تسمى بالمسفينة .

- ١ - الأعراف آية رقم ٦٤ .
- ٢ - بوس آية رقم ٧٣ .
- ٣ - هود آية رقم ٣٧ - ٣٨ .
- ٤ - المؤمن آية رقم ٢٧ .
- ٥ - للشعراء آية رقم ١١٩ .
- ٦ - الحنكوت آية رقم ١٥ .

وجاء في سورة الحاقة أنها تسمى بالجارية (١)

وجاء في سورة القمر (٢) أنها تسمى ذات ألواح ودسر .

والسر في ذلك يرجع إلى التنويع والتفنن في طرق النظم مع مناسبة كل لفظ أو تركيب للموضوع الذي ذكر فيه .

فالأصبر للغالب والكثير تسميتها بالفلك للدلالة على العظم في الفلك والتنصم . وهذا العنوان وقع التعبير في ما كان من قبل أيام الله الكونية فالبهار والفلك التي تجري فيها مغره .

وقد وقع التعبير بالسفينة مراعاة لما فيها من معنى السفى وشقها المياه وجريها لأنها ليست عظيمة وفيها صغار السفى كب في سورة الكهف في قوله تعالى { أَمَّا السُّنُوفُ فَكَانَتْ لِمَصَافٍ مِثْلُ بَيْتٍ مَرْكُومٍ } (٣)

وإما لمراعاة أن السفينة أصغر من أن تقاوم ما حولها من الماء كما في العنكبوت في قوله تعالى { فَاتَّخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ } فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السُّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ (٤)

والمعنى أن السفينة التي قطعت الماء وجرت فوقه كبيرة في ذاتها وإن كان الماء عظيماً لا يطر منه حبة كذلك كان الحال في تسميتها بالجارية في قوله تعالى { إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ } (٥) أي الذي جرى فوقه

١ - الحاقة آية رقم ١١ .

٢ - القمر آية رقم ١٣ .

٣ - آية رقم ٧٩ .

٤ - سميت آية رقم ١٥

٥ - الحاقة آية رقم ١١

فنجيكم من طغيانه كأنه تجري هاربة من هـ الطغيان وهذه شأل للصحر
يجري جوف من الكبار وإن كن الصغر لكبر من غير هم .

ولما دلت الأرواح والسمير في قومه تعالى في سورة القمر { وجعلناه على
دات ألواح ودسر } بعد قومه { ففتحت أبواب السماء بعام منهمر وفجرتنا
الارض غيونا فالتقى الماء على أمرٍ قد قدر } ^(١) فالمعكور هي للعقاب ثنائ.
ماء نزل من السماء وماء صاعد من الأرض. منقش على أمر هو عراق
لأمة الكافرة وبهلاكتها فكذلك كاتب أداة الإنداء اثنيية فهي ألواح ودمر تجتمع
على أمر مقدر هو نجات الأمة المؤمنة { ^(٢) .

الثالث عشر

في خواتيم قصة نوح في سورة الفرقان يقول تعالى { وجعلناهم للناس آية }
{ وفي سورة الشعراء يقول تعالى { إن في ذلك بآية } ^(١) وفي سورة
الحج يقول تعالى { وجعلنا آية للعالمين } ^(٢) وفي سورة القمر قوله
تعالى { ولقد تركناه آية فهل من مدكر } ^(٣)

١ آية رقم ١٣ .

٢ الأيتان رقم ١١ - ١٢

٣ - بظهر : ملامح بلاغية ١٠٣

٤ آية رقم ٣٧

٥ الشعر ٤ آية رقم ١٢

٦ آية رقم ٥

٧ ع

فلفظ آية ورد بالإنفراد في خواتيم القصة في هذه السورة. أما في سورة المؤمنين فقد ورد بالجمع في لفظ آيات قال تعالى { إن في ذلك لآيات } (١)

والمراد في ذلك :

يعود لكما إلى التوزيع والتفنن في طرق النظم مع مناسبة كل لفظ أو تركيب للموضوع الذي ذكر فيه .

فالقصة في سورة المؤمنين ذكرت بعد آيات في خلق الإنسان وما يحيط به من عالم الأرض والسماء، والزرع والشجر وقبهيمة، وبعد للقصة تذكر قصتان ويشير إلى عدد آخر من القصص، ثم تذكر الآيات دلالات القدرة المتوقعة، وفي كل ذلك آيات، فتكون قصة نوح في المؤمنين بالجمع أولاً .

لما لفظ الآية الوارد مفرداً فهو في غالب أمره يذكر لبيان أن في كل قصة آية لسورة الشعراء مثل تذكر قصصاً فيه بعض التفصيل ونقول بعد كل قصة ،
 إن في ذلك لآية ' فكون قصة نوح آية يعني أن قصة موسى، وهود، وصالح، وشعيب، ولوط، وقيل ذلك وبمعه الحديث إلى أهل مكة، في كل واحدة من ذلك آية (٢) .

١ - آية رقم ٢٧ .

٢ - ينظر : ملامح بلاغيه ١٠٤ .

الخاتمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده سيدنا محمد وعلى آله وصحبه يمين تبعمهم بإحسان إلى يوم الدين

وبعد

فهذا ما تيسر لي بفضل الله وسعة رحمته وإحسانه من مباحث في أسرار التنزيل في قصة نوح عليه السلام فلن كان ما توصلت إليه صواباً فهو توفيق من الله تعالى، فله الحمد والشكر، وإن تكن الأخرى فما إليها قصدنا ولا فيها رغبنا، ومن اجتهد وأصاب فله أجران، ومن اجتهد ولم يصب فله أجر واحد.

ومن خلال مسطور هذا البحث نخرج بالنتائج التالية :

١- أن قصة نوح عليه السلام وردت في سور شتى بين الطويل من القصص أو القصير، المعتمد على الإشارة المريحة، أو التوافقة عند بعض الأحداث التي تتفق مع المنهج الأساسي للسورة.

٢- أن قصة نوح عليه السلام تكررت في القرآن بطرق مختلفة وأساليب متنوعة لتفيد غرضاً معيناً يتلاءم مع الإطار العام للسورة التي ذكرت فيها.

٣- أن كل سورة وردت فيها قصة نوح عليه السلام قد انفردت بذكر شيء جديد لم يذكر في غيرها من السور التي وردت فيها للقصة.

٤- أن قصة نوح عليه السلام مع ذكرها في أكثر من سورة ليس فيها ذلك التكرار المطلق الذي يخلل لبعض من يقرؤون القرآن بلا تدقيق وإمعان.

٥- أن ما كان من تكرار شيء في القرآن له صله بنبي الله نوح فإن ذلك لك يكن حيثما كان لتحقيق أغراض دينية وأمرية بدينية .

٦- أن قصة نوح عليه السلام انفردت بسورة كاملة من فصول السور كما انفردت فصلاً يومئذ بسورة كاملة من أطوال السور .

٧- أن كل الصور التي عرضها القرآن لقصة نوح عليه السلام جميعها صورة واحدة يكمل بعضها بعضها. في حين أن كل صورة منها تمثل القصة كلها وتبرز ملامحها .

٨- أن مجموع آيات هذه القصة بلغ ما يناهز مائة وعشراً من الآيات وأما اسمه فقد ذكر في القرآن في مواضع شتى بلغت ثلاثة وأربعين موضعاً واحد وعشرين موضعاً في السور التي ذكر فيها قصته والباقي اسماً مجرداً من غير ذكر القصة .

وأخيراً فاني أسأل الله أن يجعل عملي خالصاً لوجهه ، وأن يجعله في ميزان حسناتي ، وأن يتجاوز بهذا العمل للمتواضع عن زلاتي إنه سميع قريب وبالإجابة جدير .

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، والحمد لله رب العالمين .

دكتور

رمضان عبد العزيز عطا الله

الأستاذ المساعد بقسم التفسير وعلوم القرآن

مراجع البحث

القرآن الكريم .

الأساس في التفسير للأستاذ / سعيد جوي طبعة دار السلام .

أساليب الإقناع في القرآن بن عيسى بالطاهر طبعة دار الضياء اليمن .

إلى القرآن الكريم للشيخ شلتوت طبعة دار الشروق .

البرهان في توجيه مثالبه القرآن للكرماني تحقيق عبد القادر الله طبعة دار

الفضله .

البرهان في علوم القرآن للزركشي تحقيق مصطفى عبد القادر عطا طبعة

طبعة دار الفكر .

التصوير الفني في القرآن للأستاذ سيد قطب طبعة دار الشروق .

تفسير القرآن العظيم لابن كثير طبعة المكتبة التوفيقية .

التفسير القرآني للقرآن للأستاذ عبد الكريم الخطيب طبعة دار الفكر

العربي .

التفسير الكبير للرازي طبعة دار الفكر .

تفسير الطبري طبعة دار الحديث .

تفسير الإمراعي طبعة دار إحياء الكتب العظيمة .

تفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا طبعة الهيئة العامة للكتاب .

تفسير المنير للدكتور وهبه الزحيلي طبعة دار الفكر .

تفسير النيسابوري طبعة دار الحديث هامش تفسير الطبري .